



جمهورية العراق  
وزارة التربية  
الكلية التربوية المفتوحة  
قسم اللغة العربية

# الأدب الأموي

إعداد

أ. م. د. نضال أحمد باقر  
م. د. أحمد شنيشل مساعد  
م. د. صلاح عبد الله قاسم

بإشراف

أ. د. يحيى خليل إسماعيل  
رئيس قسم اللغة العربية

٢٠٢٥ م

١٤٤٦ هـ

- المفردات:

- الأدب في عصر بني أمية.

- أثر الإسلام في الشعر الأموي.

- أ- شعراء السياسة : ١- عدي بن الرقاع. ٢- الكميت بن زيد الأسدي.

٣- عبيد الله بن قيس الرقيات. ٤- عمران بن حطان.

ب- النقائض وشعراؤها:

١- جرير ٢- الفرزدق. ٣- الأخطل.

ت- الغزل العذري - الغزل الصريح

-جميل بن معمر - عمر بن أبي ربيعة

- الفنون النثرية.

- الخطابة وأساليبها وتطورها.

- خطبة زياد بن أبيه في البصرة.

- الكتابة وتطورها - فن الرسائل.

## - الأدب في العصر الأموي:

أدى قيام الدولة الإسلامية إلى ظهور أدب إسلامي يغير في كثير من خصائصه الأدب الجاهلي؛ بيد أن قصر حقبة عصر صدر الإسلام (١ هـ - ٤٠ هـ) لم يتح لهذا الأدب أن يمدّ جذروه وأن تتضح سماته الجديدة، فلما كان العصر الأموي أُتيح لهذا الأدب الجديد أن يزدهر وأن تتضح سماته، وساعد على هذا التطور عوامل كثيرة، منها: سياسية واجتماعية ودينية.

أبرز المؤثرات في الحياة الأدبية، كانت المؤثرات السياسية؛ فقد نقل الأمويون حاضرة ملكهم إلى بيئة جديدة تغيّر بيئة الكوفة هي بيئة الشام، وأسسوا ملكاً وراثياً يتداول فيه بنو أمية الحكم من دون سواهم ويقمعون كلّ معارضة تنزع إلى سلبهم ملكهم، وكان لخلفاء بني أمية مقدرة سياسية تجعلهم مهيبين لتولي مقاليد الحكم.

وقد قُوبل نزوح بني أمية إلى الاستئثار بالأمر بمعارضات عدة من طوائف رعيّتهم منهم الخوارج الذين كانوا يريدون الخلافة شورية (أي التي تعمد على الشورى)، ولا تكون وفقاً على قريش وحدها؛ بل يتولاها كل من تتوافر فيه المؤهلات المطلوبة ولو كان عبداً حبشياً. ومنهم الشيعة الذين كانوا يرون أنّ أهل البيت (عليهم السلام) أحق بتولي الأمر من بطون قريش جميعهم، ومن المسلمين جميعاً، ويجعلون الإمامة أمراً إلهياً؛ فالله اختار نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) والنبي اختار وصيه علياً (عليه السلام)، وكل إمام يوصي بالإمامة لمن يليه (عليهم السلام).

انقسم الخوارج والشيعة على فرق مختلفة فيما بينهم؛ من حيث المعتقدات؛ فانقسم الخوارج على الأزارقة الذين كانوا أشدّ تطرفاً والأباضية، النجدات، والصفرية، وفرق أخرى أقلّ شأنًا. وانقسم الشيعة على الإمامية (الاثني عشرية عليهم السلام)، والإمامية السبعية (الإسماعيلية)، والكيسانية، والزيدية، وقد قام كل من الخوارج والشيعة بثورات متصلة طوال العصر الأموي؛ هذه الثورات أدت إلى زعزعة أركان الحكم الأموي، ومن هذه الطوائف كذلك جماعة عبد الله بن الزبير الذي كان يرى أنّه أحق بالخلافة من يزيد بن معاوية، وقام بينه وبين بني أمية نزاع دموي استمر عشر سنوات وانتهى بمقتله والقضاء على أصحابه سنة ٧٣ هـ.

ومن هذه الطوائف مَنْ ثار على بني أمية لعدم رضاهم عن سياسة أميرهم، فثار عبد الرحمن ابن الأشعث على الحجاج، أما من أهم ثورات الخوارج التي تمخض عنها عصر بني أمية ثورات الأزارقة الذين كانوا أشد من الخوارج تطرفاً و تشدداً، وقد قُتل زعيمهم نافع بن الأزرق في موقعة دولا ب مع أهل البصرة . وتوالت ثوراتهم فيما بعد واستطاع القائد المحنك المهلب ابن أبي صفرة أن يبعد خطرهم ويصد حملاتهم وأن يقضي عليهم آخر الأمر. وفي الوقت عينه كان الخوارج الصفرية يشنون حملات عنيفة على مدينة الكوفة يقودهم الخارجي شبيب بن زيد. وقد استطاع هذا الخارجي أن يهزم جيوشاً كثيرة أرسلها إليه الحجاج ؛ بل قد استطاع دخول الكوفة؛ مما اضطر الحجاج إلى الاستتجاد بعبد الملك بن مروان الذي بعثَ لنجدته جيشاً من أهل الشام، وقد هلك شبيب في موقعةٍ على مشارف الكوفة.

وفي أواخر العصر الأموي قام الخارجي الضحاك بن قيس الشيباني بحملة على الكوفة في جمع غفير من الخوارج واستطاع الاستيلاء عليها؛ لكنه هُزم بعد موقعة مع جيش وجّهه إليه مروان بن محمد، وانتهى الأمر بمصرعه. ولم تكد ثورته تنطفئ حتى انطلق الخوارج الأباضية من بلاد اليمن إلى الحجاز واستطاع قائدهم أبو حمزة الخارجي أن يستولي على مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ ولكنه لم يستطع أن يصد الجيش الذي وجهه إليه مروان بن محمد من الشام فقتل في معركةٍ بوادي القرى.

وعلى الرغم من إخفاق ثورات الخوارج؛ فإنّ ثورتهم كانت من أقوى الأسباب التي أدت إلى إضعاف الحكم الأموي، وجعلته عاجزاً عن الوقوف في وجه أنصار الدعوة العباسية. و من الثورات التي أدت إلى زعزعة الحكم الأموي وقوضت أركانه، هي ثورات الشيعة الأمامية ؛ فقد أعلن الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) الخلافة على يزيد بن معاوية، ولما قدم بأهل بيته (عليهم السلام) إلى الكوفة تخلى عنه شيعته، فانتهى الأمر باستشهاده عليه السلام مع جلّ أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه (رضوان الله عنهم). وبعدها زعزعت ثورة التوابين حكم بني أمية؛ إذ استطاع المختار الثقفي أن يستولي على الكوفة وأن يهزم جيش أهل الشام؛ ولكنه لم يستطع التغلب على جيش مصعب بن الزبير وقتل. أخفقت ثورة زيد بن علي بالكوفة لخذلان أهل الكوفة إياه ، فقتل وصلب كما قُتل ابنه بعد ذلك.

ومما يتصل بالموثرات السياسية آنذاك حركة الفتح الإسلامي التي بلغت أوجها في ذلك العصر، وقد استطاع الفاتحون المسلمون أن يمدوا حدود الدولة الإسلامية في حقبة قصيرة إلى أقصى المغرب وإلى بلاد الأندلس

ومشارف بلاد الروم، وامتدت فتوحهم شرقاً إلى بلاد فارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر وبلاد السند، فكان الفتح الإسلامي أسرع فتح عرفه التاريخ، وكان العرب الفاتحون حين يبسطون سلطانهم السياسي ينشرون معه عقيدتهم ولغتهم؛ فلذلك وجد الأدب الأموي في عصر بني أمية بيئاتٍ جديدةً غير بيئة الجزيرة العربية مهددة الأولى، فتلون الأدب بألوان هذه البيئات وتأثر بها، فكان لبيئات الشام والعراق وخراسان ومصر والمغرب والأندلس أثرها القوي في الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية.

أما من حيث المؤثرات الاجتماعية في الحياة الأدبية، ظهور طبقة الموالي التي كانت في تكاثر مستمر سواء عن طريق الفتوح أو الشراء. وكان لا مفر من أن يكون لوجودها أثر واضح في المجتمع العربي كما كان لها أثر في الحياة الأدبية؛ فقد برعت طوائف من الموالي في اللغة العربية وعلومها؛ لنشأتهم بين ظهراي مواليم العرب ووقفوا على التراث الأدبي وما لبثوا أن شاركوا في الحياة الأدبية فظهر منهم الكتاب والشعراء، على أن بني أمية كانوا يقيمون أية محاولة يقوم بها الموالي لإبراز هويتهم القومية أو لرفع أصواتهم بنائرة العصبية المعادية للجنس العربي؛ فظلت الكلمة الأولى للعرب طوال ذلك العصر على نقيض ما حدث في العصر العباسي.

وقد تركت الفتن القبلية آثارها وكان لها صداها القوي في الحياة الأدبية، وفي الشعر بصورة خاصة، فنشط فن المناقضات، وكثرت المفاخرات القبلية ووقف الشعراء يلتقون في المريد والمحافل؛ فيتفاخرون ويتهاجون والناس حولهم وكلُّ فئة تتعصب لشاعرها فتزداد نار العصبية بذلك انتقاداً.

وثمة عامل آخر كان له أقوى الأثر في الحياة الأدبية آنذاك وهو البلاط الأموي وموقفه من الخطباء والشعراء، وكذلك موقف ولاية بني أمية منهم. فقد دأب خلفاء بني أمية وولاتهم على إكرام الشعراء الذين يمدحونهم؛ فأغدقوا عليهم الأموال بسخاء؛ فلا غرو أن يتجه الشعراء إلى فن المديح ويجعلوه فنهم الشعري الأول، وأن يتزاحم فحول الشعراء على أبواب الخلفاء والولاة يمدحونهم وبيبالغون في إطرائهم ليظفروا بالعطايا والصلوات؛ فإذا بفن المديح - الذي كان الجاهليون ينظرون إليه على أنه فنٌ يقلل من شأن قائله - يغدو الفن الأول في الشعر العربي؛ وإذا بالشعراء المدّاحين يتنافسون في التقرب إلى أولي الأمر ليحظوا بالمال والشهرة فيخرج الشعر بذلك عن مساره الحق ويسلك مساراً آخر يبعد عن الصدق والأصالة.

## - أثر الإسلام في الأدب الأموي:

من الطبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي، وهو تأثيرٌ يقوى ويضعف حسب نفسية الشعراء، إذ كان من بينهم مَنْ تعمق بالإسلام، ومن بينهم مَنْ لم يتغلغل الإسلام إلى أعماقه، على أنهم جميعاً كانوا يستظلون بظلاله، وكان من حولهم الوعّاظ والنّسّاك يذيعون في مختلف الأجزاء عبير وعظهم ونسكهم سواء في المساجد الجامعة أو في مقدمات الجيوش الغازية، وكانوا ما يزالون يُحدّثون الناس عن الثواب والعقاب، ونعيم الجنة وعذاب النار داعين دعوة واسعة إلى التقوى والزهد في متاع الدنيا، وترامت من هذه المواعظ ومن القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقوال الصحابة الأولين أشعة كثيرة نفذت إلى نفوس الشعراء وانعكست في أشعارهم على اختلاف موضوعاتها، فمثلاً لقد أصاب غرض الغزل البراءة والطهر بتأثير من الإسلام وكذلك الصفاء والنقاء خاصة عند شعراء نجد وبادي الحجاز وعند فقهاء المدينة المنورة ومكة المكرمة؛ ممّا هيأ لظهور الغزل العذري بل ولشيعوه؛ وكأنتنا بالإسلام قد أضفى على المرأة وعلاقتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضرباً من القدسية، وأحاطها بهالة من الجلال والوقار، وإذا بالشاعر لا يدنو منها إلا في احتياطٍ، بل إذا هو يرى دونها صعباً أي صعباً، فيتحول إلى نفسه يشكو ما أصابه من تباريح الحب وعذابه من حبها وهي شكوى يضرع فيها أحياناً إلى الله تعالى، كما في قول جميل بن معمر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبّها      ولا بدّ من شكوى حبيب يُرَوِّعُ  
ألا تتقين الله فيمن قتلته      فأمسي إليكم خاشعاً يتضرّعُ  
فياربّ حببني إليها و اعطني ال      مودة منها أنت تعطي وتمنعُ

ونرى الغزليين جميعاً عذريين يستهلون في غزلهم بعض الأفكار الإسلامية كفكرة العفو والغفران، يقول عمر بن أبي ربيعة:

فديتُك اطلقي حبلي وجودي      فإن الله ذو عفوٍ غفورٍ

وقد ردد غير شاعر فكرة الإثم في القتل وعقاب القاتل للنفس المؤمنة؛ فنرى الفرزدق يفصل هذه الفكرة تفصيلاً في إحدى مقطوعاته، فيقول:

يا أخت ناجية بن سامة إنني أخشى عليك بني إن طلبوا دمي

فإذا حلفت هناك أنك من دمي لبريئة فتحللي لا تأثمي

فلئن سفكت دماً بغير جريرة لتخلدني مع العذاب الآلام

وإذا كان الفرزدق توسع في فكرة القتل على هذا النحو، فأضاف إليها الاستثناء من اليمين وما ينتظر القاتل في غير جناية من عذاب الآخرة؛ فإنَّ الشاعر وضَّاح اليمين يستغل فكرة الحلال والحرام ويشفعها بفتوى الترخيص في اللِّم، يقول:

إذا قلت يوماً نوليني تبسّمت وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعتُ عندها وأعلمتها ما رخص الله في اللِّم

وواضح أنَّه قصد باللِّم النظرة وما يماثلها فكلاً ذلك وغيره ممّا لا يتسع المقام لذكره إنّما هو دليل على تأثر شعراء الغزل ذلك العصر بمعاني الإسلام واختلاط ألفاظه وامتزاج معانيه بمعاني الحب وألفاظه عندهم.

وإذا ما انتقلنا إلى المديح وجدناه يتحول في كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية في الممدوح، ووثق هذا التصوير في مديح الخلفاء والولاة؛ مما يدل على أنّ الحكم والدين كانا مرتبطين ارتباطاً لا تنفصم عراه، فمضى الشعراء يتحدثون عن تقواهم، وكيف أنهم يقيمون ميزان العدالة السماوية بين الرعية، ونشب صراع حاد بين الأمويين من جهة وبين الخوارج والشيعة من جهة أخرى في الحاكم الأعلى للمسلمين وما ينبغي أن يتحلّى به من صفاتٍ دينية. ولم يلبث شعراء بني أمية أن نفذوا من ذلك إلى تمجيد الأمويين ورسم إطار ديني لكلّ منهم، فكان الخليفة عمر بن عبد العزيز مثلاً للحاكم الأموي التقى؛ فأكثر الشعراء من رسم إطار التقوى الذي يُطيف به وبحكمه، من نحو قول كثير عزة:

وصدقت بالفعل المقال مع الذي أتيت فأمسي راضياً كلُّ مسلم

وقد لبست لباس الهلوك ثيابها تراءى لك الدنيا بكفٍّ ومعصم

وتومض أحياناً بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مضميراً كأنما سقتك مدوفاً من سمام وعلقم

فهو لا يصور في عمر التقوى وحسب؛ بل يصور فيه أيضاً الزهد والإعراض عن الدنيا وفتنتها ومتاعها الزائل الذي يغري الناس من حوله. وتتسع هذه الصورة في مديح الشيعة لأئمتهم (عليهم السلام)، على نحو ما نجد في هاشميات الكُميت بن زيد الأَسدي، وفي شعر أيمن بن خُرَيْم الذي قال في بني هاشم:

نهاركم مكابدةً وصومٌ      وليكم صلاةً واقتراءً

وُلِيْتُمْ بِالْقُرْآنِ وبالْتَزْكِي      فأسرع فيكم ذاك البلاء

وعلى نحو تأثر المديح بالإسلام ومثله وقيمه الروحية تأثر الهجاء أيضاً؛ إذ أخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين، فأطلقوا في وصفهم بالفسوق والبغي والطغيان، كقول جرير في آل المهلب:

آل المهلب أفرطوا في دينهم      وطمغوا كما فعلت ثمودُ فباروا

ودائماً يرمي شعراء الشيعة الأمويين بالظلم وانتهاك الحرمات وتعطيل أحكام الدين وابتداع ما لم يأت به كتابٌ ولا سنةً، مثل قول الكُميت بن زيد الأَسدي:

لهم كلّ عامٍ بُدعةٌ يُحدثونها      أزّلوا بها أتباعهم ثم أوحلوا

كما ابتدع الرهبانُ ما لم يجيء به      كتابٌ ولا وحيٌّ من الله مُنزلٌ

تحلّ دماء المسلمين لديهم      ويحرم طلعُ النخلة المتهدّلُ

واشتدّ لهب الهيجاء - كما بيّنا آنفاً - بتأثير العصبية، ولم يكد ينحُ منه خليفة ولا وإل.

ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إنّ شعر الحماسة كان أقوى في تأثره بالإسلام من شعر الهجاء والمديح، إذ كان يُنظّم أكثره في الجهاد، ومعروف أنه كان في صفوف المجاهدين فُصّاصٌ ووعّاظٌ يحثونهم على الاستشهاد في سبيل الله تعالى؛ حتى يفوزوا برضوان الله تعالى، ومن ثم تحولت بعض القطع الحماسية التي نُظّمت في خراسان إلى مواظ خالصة، مثل قول نصر بن سيار:

دع عنك دنيا وأهلاً أنت تاركهم      ما خيرُ دنيا وأهل لا يدمونا

وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهداً      إنّ التقى خيره ما كان مكنوناً

واعلم بأنك بالأعمال مرتهنٌ      فكن لذاك كثير الهمّ محزوناً

أما حربا الخوارج فقد كانت حرباً دينية؛ لأنهم آمنوا أنهم على الحق وأن المسلمين من غيرهم خرجوا على حدود الله تعالى وأنه ينبغي جهادهم حتى يعودوا إلى حياض الشريعة الإسلامية، وبالصورة نفسها كان يراهم المسلمون من خصومهم ويرون جهادهم فرضاً مكتوباً، وبذلك كانت أشعار الطرفين تعبر تعبيراً صادقاً عن عقيدتهم، فغاية كل خارجي هي أن يُقتل حتى يُكتب في سجل الشهداء. وكان شعر مَنْ حاربهم مفعم بالدعوة إلى الاستبسال في الحرب والجهاد ضد الخوارج، وخير مَنْ يصور ذلك قول كعب الأشقري في ملحمة الطويلة التي وصف فيها قتال المهلب للأزراقة وقضائه عليهم:

إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ إِذْ جَحَدُوا      بِالْمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا  
جَارُوا عَنِ الْقَصْدِ وَالْإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا      دِينًا يَخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّذُرُ

وكان كثيرون يقتلون في هذه الحروب، فكان الشعراء يندبونهم ندباً مؤثراً، مازجين إياه بما ينتظرهم من نعيم الخلد، مثل قول الضحاك بن قيس يرثي بهلولاً الصُّفري الذي خرج لعهد هشام بن عبد الملك وقُتِلَ:

يَا عَيْنُ أَدْرِي دَمَوْعًا مِنْكَ تَهْتَانًا      وَابْكِي لَنَا صَحْبَةَ بَانَا وَ إِخْوَانَا  
خَلُّوا لَنَا ظَاهِرَ الدُّنْيَا وَبِاطِنَهَا      وَأَصْبِحُوا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ جِيرَانَا

وتعمُّ هذه الروح الدينية أيضاً في مرثي مَنْ قُتِلوا من العلويين منذ عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بل إنَّ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) قد تحول إلى تفجُّع مريِّر، فكان كل مَنْ يرثي الأمويين يستشعره في مرثيهم، كقول جرير في عمر بن عبد العزيز:

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرَتْ لَهُ      وَقَمَتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عَمْرَا

بل إن الرثاء طُبع بهذه الروح بصورة عامة، وما يُطوى فيها من التسليم لله والرضا بقضائه، فكلُّ نفس ذائقة الموت، وهو حتم في رقاب العباد، وعلى هذه الشاكلة كان الإسلام يُؤثر في نفسية الشعراء، وانعكس هذا التأثير على الموضوعات المختلفة التي نظّموا فيها وصف الصحراء، فإننا إذا قرأنا هذا الوصف عند ذي الرمة أحسنا أنّ قلبه يمتلئ بالرحمة والشفقة والعطف على الحيوانات.

وليس هذا كله جميع ما أثار به الإسلام في الشعر الأموي، بل فجّر ينبوعاً آخر هو ينبوع أو غرض الزهد وما ينطوي عليه من الدعوة للعمل الصالح الذي أخذ يتدفق على ألسنة كثير من شعراء ذلك العصر، حيث أصبح موضوعاً قائماً بذاته.

ولم يصطبغ الشعر وحده بالمثالية الدينية وما يرتبط بها من معانٍ؛ فقد جاره الرجز في هذا الاصطباغ، حتى لنجد رجّازاً كثيرين يبدأون أراجيزهم بحمد الله، وقد يمضون فيتحدثون عن خلق السموات والأرض، وكثيراً ما يضيفون أدعيةً وابتهالاتٍ لربهم.

ممّا تقدّم يتضح لنا أنّ الإسلامَ أثرٌ تأثيراً كبيراً في نفوس الشعراء ، وهو أثرٌ تعمقَ بنفوسهم حتى غدوا وعاظاً يعظون الناس وبيذكرونهم باليوم الآخر، وما ينتظرهم من الثواب والعقاب، كما تحدثوا عن الدنيا ومتاعها الزائل مصورين طريق النجاة بأنّه الطريق القائم على تقوى الله تعالى والعمل الصالح ومجانبة كل خلق رديء مثل الكبر والبخل والخيانة، والتحلي بكل خلق كريم مثل التواضع والجود والأمانة.

- الشعراء الأمويون:

- عدي بن الرقاع:

- التعريف بالشاعر: نسبه وحياته وأسرته:

هو عدي بن الرقاع، نشأ في الشام، وأنّ منزله كان بها، وظلت هي موطنه وهواه، يخرج منها ثم يعود إليها، وهي موطن ممدوحيه ، وعدي بن الرقاع من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، عاش في نعيم القصور وانعكس ذلك على شعره، وارتبط اسمه بالشام حتى عُرف بشاعر أهل الشام كما قال ابن دريد.

وأكد عدي ذلك في شعره؛ إذ ذكر كثيراً من قرى الشام وكورها وأماكنها فنذكر غوطة دمشق في قوله:

حتى إذا الغيثُ ألوى نبتَهُ انتجعتُ      وخالطتُ من سوادِ الغوطةِ الكورُ

قال ثعلب: الغوطة بدمشق . وسميت غوطة لانخفاضها.

وإذا الربيعُ تتابعت أنواؤه      فسقى خنصرة الأحصّ فجادها

قال ثعلب: خنصرة موضع بالشام ، والأحصّ: جبل.

وقال في مدح الوليد:

وذكر مدينة حمص في قوله:

منعوا الثغرة التي بين حمصٍ      والكهاتين ليس فيها غريبُ

## - شخصيته:

اتصف عدي بن الرقاع بالإخلاص الذي تجلى في موقفه من الدولة الأموية وخلفائها وكان هواه معهم، يمدح أعباءهم ويؤين موتاهم ويؤيد سياستهم، ويتحمس لهم، ووقف شعره عليهم، ولم يكن كشعراء عصره ينتهج المدحة؛ بغية التكسب؛ فديوانه الذي تضمن تسعاً وعشرين قصيدة كان لبني أمية عشرون منه، ولم يمدح من عامة العرب إلا رجلاً واحداً هو مري بن ربيعة الكلبي، وقد ضاع معظم قصيدته، ولم يبق منها إلا النسيب.

كذلك اتصف عدي بالوفاء وأكبر دليل عليه قصته مع عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والي الأردن الذي عزله الوليد بن عبد الملك وضربه وحلقه وأقامه أمام الناس وقال للموكلين به: مَنْ أتاه متوجعاً وأثنى عليه فأتوني به، فأتى عدي بن الرقاع وكان عبيدة محسناً إليه فوقف و أنشأ يقول:

وما عزلوك مسبقاً ولكن  
إلى الغايات سباقاً جواداً

وكنت أخي وما ولدتك أمي  
وصولاً باذلاً لي مُستزاداً

فقد هيضت لنكبك القدامى  
كذاك الله يفعل ما أراداً

فوثب الموكلون به إلى عدي، فأدخلوه إلى الوليد، وأخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد، وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت؟ فقال عدي: يا أمير المؤمنين إنّه كان إليّ محسناً، وليّ مؤثراً، وبني براً، ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟ فقال: صدقت و أكرمت، فقد عفوت عنك وعنه فخذ وانصرف فانصرف به إلى منزله.

وكان عدي سريع البديهة حاضر الجواب شديد العارضة، فأما سرعة البديهة فتجلت في قصته مع سليمان بن عبد الملك، فقد ذكر أنّ سليمان لما ولي الخلافة كتب إلى عامله: أن ابعث إليّ عدي بن الرقاع في وثاق مع ثقة، فوجهه إليه فلما دخل عليه قال: إن كنت كارهاً لخلافتي، قال: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال حين تقول في مدحك الوليد: **عُدنا بذِي العرش أن نبقي ونفقدهُ** وأن نكون لراعٍ بعده تُبعا

فقال ابن الرقاع: والله ما هكذا قلتُ يا أمير المؤمنين، ولكنني قلتُ:

**عُدنا بذِي العرش أن نبقي ونفقدهم** وأن نكون لراعٍ بعده تُبعا

قال: وكذلك قلتُ؟ قال: نعم، قال: فكوا حديده وردوه على مركبه إلى أهله. قال ابن سلام الجمحي: وإنما كان

خَصَّ بِنْتِكَ المَدْحَةَ الوليد بن عبد الملك، وهذا حسنٌ تَخَلُّصٌ جيد. ويورد ابن عبد ربه الأندلسي قصةً أخرى تقوم دليلاً على حضور جوابه؛ فقد ذكر أنّ القصة كانت مع سليمان، وذلك حين أنشد عدي ابن الرقاع في حضرته قوله في الخمر:

كُمَيْتٌ إِذَا شُجِبَتْ وَفِي الكَأْسِ وَرَدَةٌ      لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ  
تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ      لَوْجِهِ أَخِيهَا فِي الإِنَاءِ فُطُوبٌ

قال: شربتها ورب الكعبة. فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها فقد رابني معرفتك لها أكثر، فهذا جواب حاضر تصحبه شجاعة لأنه يكلم الخليفة.

أما شدة المعارضة فتظهر في قصته مع جرير حين دخل على عبد الملك وعدي عنده - قيل كان ذلك في مجلس الوليد بن عبد الملك - قال جرير: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي تُقْبَلُ بوجهك عليه وتخصه بحديثك؟ فقال: هذا عدي بن الرقاع، فقال جرير: شر الثياب رقاعها. فقال عبد الملك: مه، أتقول هذا لمؤين موتانا ومقرظ أحيائنا؟ وترد هذه الحادثة عند آخرين يجعلونها في مجلس الوليد وأنّ عدياً ينشد قصيدته التي أولها:

عرف الديار توهماً فاعتادها      مِنْ بَعْدِ مَا شَمَلَ البلى أبلادها

وأنّ جريراً أفحش في الكلام مع عدي وأنّ عدياً ردّ عليه بأفحش من قوله شعراً نتركه تحرجاً، فغضب جريرُ فقال عدي: يا أمير المؤمنين، أجري من لسانه. فقال الوليد لجرير: والله لئن ذكرته في شعرك لأسرجنك وليركبناك حتى يعيرك الشعراء بذلك فلم يذكره جرير صراحةً في شعره .

- مكانته الشعرية والأدبية:

امتداداً لما تقدّم من أحداث ووقائع جرت بين عدي ومعاصريه نبيّن هنا منزلته عند بني أمية وتقدمه عند الخلفاء التي صيرتهُ شاعر بلاطهم ونال عندهم مكانة حتى كانوا يدافعون عنه صراحةً، كما في خبر الوليد مع جرير، وهذه المكانة دون شك تثير المنافسة والحسد لدى كثيرين ممّن يتمنون أن ينالوا هذه المنزلة، لذلك حسده بعضهم وحاولوا التقليل من شأنه و طعن بعضهم في نسبه وهاجاه أكثر من شاعر منهم جرير والراعي النميري، وغيرهم.

## اتجاهه السياسي:

انقطع عدي لبني أمية ووقف ديوان شعره عليهم إلا أقله، وفي هذا دليل على ولاء الشاعر للأُمويين، ودليل على أصالته وحسه القومي. وقد وجد في بيت الخلافة الأصاله العربية والندى والسخاء وحسن السياسة والاضطلاع بأعباء الملك، فكان مجالاً خصباً لشاعريته وإظهاراً لولائه ولوفائه لهذا البيت؛ لذلك كان هواه معهم، يمدح أحباءهم ويرثي أمواتهم كما قال الوليد بن عبد الملك، ولا يقف عند هذا الحد، بل يرى رأيهم ويقول بقولهم ويؤيد سياستهم، ويتحمس لهم وهو سلم لمن أطاعهم، وحرب على من عصاهم، ناصرهم بلسانه وبسيفه لا عن رغبة ولا عن رهبة؛ بل عن رأي وعقيدة.

كان شعر عدي في خلفاء بني أمية يمثل الوجه المشرق لتاريخ الدولة الأموية الذي طالما أصابه التشويه والاختلاق والكذب على الخلفاء كما يدعي بعض الكتّاب ومنهم الأصفهاني الذي قال في كتابه الأغاني: (( والمنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والملصق بهم منها لا أصل لجُله ولا حقيقة لأكثره)).

وتُظهر خواتيم شعر عدي بن الرقاع ونهايات قصائده تلخيصاً لمذهبه السياسي وثباته على ذلك المذهب، والترويج له؛ فقد كان هدفه إظهار مكانة الخليفة، وإيصال هذه المكانة للناس ونشر حب الخليفة بين الرعية ودعوته للانتفات حوله، كما في قوله:

فسوف ينالك ممّا أقولُ      حمدٌ يسيرٌ ويُستطرفُ

وكما في قوله أيضاً:

فهذا ثنائي صادقاً غيرَ كاذبٍ      عليهمُ ومنْ لم يقضِ بالحقِّ يندمُ

فكأن عدياً هنا يقوم بدور الإعلامي الذي يتمسك بالمحافظة على الحضارة الإسلامية المتمثلة في دولة الخلافة ويدعو إلى الإحساس بالعروبة وإلى الإحسان في مخاطبة الخلفاء وحسن إتباعهم حفاظاً على كيان الدولة.

إنّ هذه المكانة التي نالها والحظوة التي تمتع بها الشاعر عند بني أمية، إنما هي بسبب وفائه الأصيل لهم ودفاعه عنهم والتفاني في هذا الدفاع؛ مما جرّ عليه خصومة الحُساد وغيظ اللاهثين خلف المديح الكاذب

والحب المصطنع؛ فاستثيرت حوله الشكوك وعُرض به في أكثر من مجلس وقيل بشأنه ويشعره ما قيل، وقد تجرّع من غصصها ما أثقل عليه لذة الحياة ونغص عليه طعم اللذة ، ولم تكن ظاهرة ضياع شعره غريبة بعد أن عُرف بحبه لدولة بني أمية ووقوفه بجانبها؛ فمن هنا تبرز أهمية الحديث عن مذهبه السياسي؛ لأنه هو الذي طبع شعره بأمر لا يمكن تجاوزها.

## -الكميت بن زيدِ الأسدي:

### -اسمه ومولده ونسبه:

هو الكميت بن زيد الأسدي لقبه أبو المستهل، ينتهي نسبه إلى مُضر، وُلد في الكوفة سنة ٦٠ هـ على عهد بني أمية وقضى شطراً من صباه في مسقط رأسه، حيث تغدّى فكره بثورة الإمام الحسين ( عليه السلام)، وقد عُرف عنه في مطلع حياته أنّه كان يعلمّ الصبيان في مسجد الكوفة، ثم نبغ في الشعر حتى أضحى من فحول الشعراء في عصره، حيث ارتسمت في قصائده صورة العصر وانعكست في مرآة أدبه حياة المجتمع من الناحيتين الاجتماعية والسياسية؛ لذلك عدّ الكميت من أوائل شعراء الإسلام الذين جعلوا من الشعر أداة للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، وكان لذلك أثره البعيد في تثقيف جمهور الناس الذين استلهموا من هذه الأشعار روح الثورة وفكرة الإصلاح والتغيير.

### - أخلاقه وصفاته:

كان عالماً بلهجات العرب، خبيراً بأيامها و كان فيه عشر خصال لم تكن في شاعر فقد كان خطيب بني أسد، وفقهياً حافظاً للقرآن الكريم، ثبت الجنان، وكاتباً حسن الخط، و أول من ناظرَ في التشيع، وكان رامياً لم يكن في قبيلته أسد أرمى منه، و فارساً شجاعاً سخياً متديناً.

كان معروفاً بمولاته لأهل البيت(عليهم السلام) مشهوراً بذلك كما تشهد بذلك القصائد الهاشميات، وهي من جيد شعره ومختاره . وكان جريئاً، مستبسلاً في الدفاع عن عقيدته، حتى ولو كلفته حياته، وقد عانى في سبيل ذلك ألم السجن والتشرد والغربة حتى فاز بالشهادة.

- نبوغه في الشعر:

أظهر الكُميت بن زيد الأسدي منذُ مطلع شبابه ذكاءً نادرًا كما شهد له بذلك الشاعر الفرزدق حين التقاه في الكوفة وعرض عليه بواكير شعره فأثنى عليه؛ فالكُميت أول من اتخذ من الحجاج الشعري وسيلة للمخاطبة في شعره، وهو أحد اصحاب الملاحم الشعرية إلى جانب الفرزدق وجريير، والراعي النميري، وذي الرمة والطرماح، توفاه الله تعالى سنة ٧٤٤م - عن عمر ناهز اربعا وستين عاما ، وترك ديوانه الهاشميات، قال الكُميت في مدح الهاشميين قوله:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطربُ	ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ
ولم يلهنِي دارٌ ولا رسمٌ منزلٍ	ولم يتطربني بنان مخضَبُ
ولكن غلى اهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم	الى الله فيما نالني اتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنني	بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
خفضت لهم مني جناحي	مودة الى كنف عطفاه اهل ومرحب
بأيِّ كتاب ام باي سنة	ترى حبهم عارا علي وتحسب
يرون لهم حقا على الناس واجبا	سفاها وحق الهاشميين اوجب

- التحليل الأدبي:

بيّن الشاعر أنّ الشوق اشتد به وهاجت مشاعره؛ ليس حيننا إلى النساء الجميلات نقيات الألوان ولا رغبة في لهو أو صيد أو غزل؛ مع أن كبار السن يمكن لهم أن يلهو. فلم يصرح الشاعر بالسبب الحقيقي للطرب؛ بغرض التشويق وليبيان قيمته وأهميته، ولذلك بدأ بذكر أسباب متوقعة لدى المتلقين نافيا لها . وقوله (وما شوقًا إلى البيض أطرب) تقديم وتأخير غرضه تخصيص النفي، لأنّهُ قدّم المفعول لأجله (شوقًا) على الفعل أطرب، فالجملة مستندة على النفي، فذكر الشوق للحسنات؛ لان المتلقي تعود ان تبدأ القصائد بالغزل وقوله (لا لعبا) فقد خصصها ايضا بالنفي؛ فاللعب قد يقصد به الصيد، او اي نوع من انواع اللهو، وقوله (ذو الشيب يلعب) استفهام، حذف اداته؛ لغرض التقرير؛ مما يعني أنّ كُبر

السن ليس سبباً في عدم اللعب؛ مما يثير السؤال مرة ثالثة، ف فيما كان طربك إذن؟، وفي قوله:

**(ولم يلهني دارٌ ولا رسمٌ منزلٍ ولم يتطربني بنان مخضّبُ)،** أراد الشاعر أنه لم يشغله بيت

يحجب عنه محبوبته ولا رسم أي طلل أقف حiale ابكي واستبكي، كما لم تستهوني أنامل محلاة بالحناء تحاول اغرائي، وفي قوله (ولكن إلى أهل الفضائل والنهي) بيّن الشاعر أنّ أصحاب المكارم والعلوم وأفضل من أنجبت أم البشرية، أحن وأطرب. مبيّنًا في الوقت نفسه أنه كرس حبه وحياته لأبناء هاشم ، وللنبيّ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، مكرسًا لأجلهم حياته ممتثلًا لما تفرضه عليه محبتهم؛ ولأجلهم يثور ويقاوم مرات عديدة ومن أجل نصرتهم وقضاء مصالحهم يشعر الكمية بالسعادة والقبول؛ فحياته كلها لهم .

فهذه القصيدة كتبت في نبأ محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وأهل بيته الأطهار والهاشميين الأخيار مظهرًا من خلالها الحب والاحلال لأصحاب المكانة الرفيعة والقدر العظيم الذين وسعت إنسانيتهم البشرية جمعاء بالعناية والرحمة.

**ثالثًا: عبيد الله بن قيس الرقيات:**

هو عبيد الله بن قيس الرقيات بن بني عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري ؛ لقب بابن قيس الرقيات؛ لأنه تشبب بثلاث نسوة اسم كل منهن رقية، وقيل، بل كان له ثلاث جدات في عمود نسبه اسم كل واحدة منهن رقية.

وُلد عبيد الله بن قيس الرقيات في مكة المكرمة في نحو سنة ١٢ هـ، نشأ فيها، وكان من أنصار آل الزبير منقطعًا إليهم، وقد شهد مع مصعب بن الزبير معركة (دير الجاثليق: هي معركة دارت أيام الفتنة الثانية بين الأمويين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وبين جيش الزبيريين في العراق)، ولما قُتل مصعب بن الزبير هرب عبيد الله بن الرقيات متخفيًا عند امرأة نصرانية لا يعرف عنها غير أنّ اسمها كثيرة، ومنتقلًا بين مكة والمدينة خوفًا من الخليفة الذي أهدر دمّه، وقد لجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي استشفع له عند الخليفة؛ فعفا عنه إلا أنه حرّمه أن يأخذ مع المسلمين العطاء، وقد أقام في الشام إلى أن توفي فيها في سنة ٧٥هـ، وقيل ٨٥هـ.

كان عبيد الله بن قيس الرقيات شاعر قريش في العصر الأموي من غير منازع، إذ كانت أفانين شعره كثيرة، له المدح البارع والهجاء الشديد، والغزل الراق؛ إلا أنه كان يُشيب ولا يُصرح، وقد كانت أكثر مدائحه

وأحسنها في مصعب بن الزبير، وكان رأيه في السياسة جميلاً، إذ رأى أنه يجب أن يتصافى العرب ويجتمعوا، ولا يقاموا قريشاً؛ لأنَّ بقاء العرب ببقاء قريش.

- ملامح الأغراض الشعرية التي تناولها الشاعر ابن قيس الرقيات:

١- الغزل عند ابن الرقيات هو الباب الأوفر حظاً في ديوانه، والأكثر جمالاً وعذوبةً، فهو عاشق مولع بالجمال مستعد للعبث واللهو، إذ قال:

ألاً أيُّها القلبُ اللجوجُ المعذبُ      علامَّ الصبا والغى والرأسُ أشيبُ

٢- المدح:

في تلك الحقبة، كان المدح على ثلاثة أنواع، هي المدح السياسي: وفيه يتوافق الشاعر مع النهج السياسي، أو الحاكم. ومن هذا النوع ما وصل إلى مسامع الخليفة عبد الملك بن مروان أن ابن قيس الرقيات مدح مصعب بن الزبير بقصيدة طويلة أشهر بيتين فيها ما تضمننا مديحاً يزينه الملك والقوة بقوله:

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله      تجلَّتْ عن وجهه الظلماءُ

ملكةٌ ملكٌ قوَّةٌ وليس فيه      جبروتٌ ولا به كبرياءُ

وعندما كان ابن الرقيات في حضرة الخليفة مدحه بقوله:

خليفةُ الله فوقَ منبره      جفتُ بذلك الأقلامُ والكتبُ

يعتدلُ التاجُ فوقَ مفرقه      على جبينِ كأنه الذهبُ

وقد قال له عبد الملك بن مروان أتمدحني أم تدمني؟ قال: ولم؟ قال لأنَّ التاج من صفات الأعاجم، أما نحن فعندنا العمامة، وأعطيت اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة.

هذه كانت نظرة الخلفاء الأمويين إلى دور الشعر وقصيدة المدح بصورة خاصة على أنَّها من الآليات التي وظيفتها ليس انتاج المعرفة وحسب؛ بل في ممارسة سلطة الحكم.

أما النوع الثاني من المدح فهو المبني على القناعة في شخصية الممدوح، ومن ذلك قصيدة طويلة في مدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال في مطلعها:

تعدت بي الشهباء نحو ابن جعفر      سواءً عليها ليؤها ونهاؤها  
آتيانك نُثني بالذي أنت أهله      عليك أثنى على الروضِ جازها

والنوع الثالث هو المدح التكسبي الذي هدفه هو الحصول على الهدايا والهبات.

٣- الفخر: -

- كان العرب يفخرون بأنفسهم وأهليهم وعشيرتهم، إذ يشكل النسب والانتماء الباب الأول في الفخر، وقد فخر ابن الرقيات بنفسه في قوله:

إِنَّ امرؤً لا يُطْبِي      ودي الخليلَ الكاسبِ -

٤- الوصف:

رسم ابن قيس الرقيات صورة الأرض وما عليها من رملٍ وشجر وحيوان ، وكل ما تراه عيناه، إذ قال في وصف النهر:

ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا      وجاش بأعلى الرقّتين بحارها

٥- الرثاء:

هو ذكر محاسن الموتى والتعني بماضيهم لاسيما ما كان من العشيرة والأقربين، وقد رثى الشاعر ابن الرقيات مصعب بن الزبير بقصيدةٍ همزية طويلة قاربت الستين بيتًا ؛ بسبب صداقتها وتحالفهما، قال فيها :

حبذا العيش حين قومي جميعًا      لم تفرق أمورها الاهواءُ  
قبل أن تطمع القبائل في مل      كِ قريش وتشمّت الأعداء (بيت مدور)  
أي هذا المشتهي فناء قريش      بيد الله عمرها والفناءُ  
إن تودّع من البلاد قريشا      لا يكن بعدهم لحى بقاءُ  
هل ترى من مخلد غير أن الل      هَ يبقى وتذهب الأشياءُ ( بيت مدور)  
لم نزل آمنين يحسدنا النا      سُ ويجري لنا بذلك الثراءُ ( بيت مدور)  
فرضينا فُمت بدائك عمًا      لا تُميتنَ غيرك الأدواءُ

-السمات والخصائص العامة لشعر ابن قيس الرقيات:

أولاً: ظهور الروح العصبية القبيلة القريشية التي أطرت شعره؛ وذلك لاعتقاده بأن قوة المسلمين لا تكون إلا من خلال وحدة قريش.

ثالثاً: تبدو نظرة الحزن واضحة في شعر ابن قيس الرقيات، فروح التحسر والألم لضياح أمجاد العرب سائدة في شعره.

رابعاً: وضوح اللغة وسهولتها، وابتعادها عن الغموض لا سيما في الغزل.

خامساً: الواقعية في التعبير، فهو شعر معبر عن تجارب حقيقية واقعية لا مجال للافتعال والخيال فيها.

سادساً: اعتماد ابن قيس الرقيات على أسلوب القص الحواري لا سيما في شعره الغزلي من حيث الشخصيات، والحوار، والحكمة، والصراع.

رابعاً: عمران بن حطان.

-حياته:

هو عمران بن حطان بن ضبيان بن لوزان بن الحارث السدوسي، وُلد في البصرة ونشأ فيها، توفاه الله تعالى سنة (٨٤هـ) وهو من قبيلة بني شيبان، عاش في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان؛ فهو من شعراء العصر الأموي.

اعتنق عمران بن حطان مذهب الخوارج حتى أصبح من رؤوس الخوارج القعدة، وهم من الذين لم يحملوا السلاح في سبيل دعوتهم؛ بل من الذين ناصرهم بأقوالهم وأشعارهم؛ إذ قال الأصفهاني (ت٣٥٦هـ): (( صار عمران قعدياً بعد أن كَبَرَ وعجز عن الحرب ))، وذكر المبرد (ت٢٨٥هـ) أنه كان على رأس القعدة وخطيبهم وشاعرهم.

وقد جسد الشاعر عمران بن حطان فكر الخوارج ومنهجهم حيث غطى شعره حيزاً كبيراً من رؤاهم؛ فهم يعتقدون أنّ أعمالهم كلها طريق يقربهم الله تعالى حتى الجرائم التي ارتكبوها في ظلم العباد، وقتل الأئمة) عليهم السلام)، إذ يصورونها على أنها أعمالاً في سبيل الله تعالى، إذ قال في قصيدة صورَ فيها جريمة عبد الرحمن بن ملجم المرادي في قتله للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصهر نبيّنا محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلّم) وابن عمه، وأبي الحسن والحسين (عليهما السلام) جاء في

يا ضربةً من تقِيٍّ ما أرادَ بها  
إلاَّ ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانًا  
أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانًا

وقد أجابه الشاعرُ السيد الحميريُّ بقوله:

قُلْ لابنِ ملجمِ والأقدارِ غالبَةٌ  
هدمتَ ويَلِكُ للإسلامِ أركانًا  
قتلتَ أفضلَ مَنْ يمشي على قدمِ  
وأولِ الناسِ إسلامًا وإيمانًا

وحين وصلَ مديحِ عمران بنِ حطانِ لابنِ ملجمِ هذا إلى الخليفةِ عبد الملكِ بنِ مردانِ أهدرَ دمهَ وطاردهُ الحجاجِ والي العراقِ لعبد الملكِ بنِ مروانِ فهربَ إلى الشامِ، ومنها إلى عمّانِ لاجئًا عندَ إحدى القبائلِ العربيةِ؛ نازلًا عندَ روحِ بنِ زنباعِ الجذامي (هو أحدُ أعوانِ الخليفةِ عبد الملكِ بنِ مروانِ، ومُسامرًا له، وأثيرًا عندهُ)، وكان روحُ بنِ زنباعِ لا يسمعُ شعرًا نادرًا ولا حديثًا عندَ الخليفةِ إلاَّ وسألَ عمرانَ بنَ حطانِ عنه، فيعرفهُ ويزيدُ فيه؛ وقد ذكرَ ذلكَ لعبد الملكِ بنِ مروانِ، إذ قالَ للخليفةِ إنَّ لي جارًا من الأزدِ (قصدَ عمرانَ بنَ حطانِ) ما اسمُ من خبرٍ ولا شعرٍ إلاَّ عرفهُ وزادَ فيه، فقالَ الخليفةُ: خبرني ببعضِ أخباره، فخبّرَه وأنشدهُ، فقال: إنَّ اللغةَ عدنانيةٌ وإنِّي لأحسبهُ عمرانَ بنَ حطانِ؛ حتّى تذاكروا شعرهُ وقالَ له الخليفةُ إنَّ ضيفكُ هو عمرانُ بنُ حطانِ فإذهبِ فجنني به؛ فلما رجعَ فأخبرهُ أنّ الخليفةَ أحبُّ أن يراكِ، فقالَ عمرانُ قد أردتُ أن أسألكَ ذلكَ، فامضي فأني بالأثرِ، فرجعَ روحُ إلى الخليفةِ فقالَ له الخليفةُ أما أنّك سترجعُ فلا تجدهُ، فرجعَ وقد ارتحلَ عمرانُ، وخلفَ رقعةً قالَ فيها:

يا روحُ كم من أخٍ مثوى نزلتُ به  
قد ظنَّ ظنَّكَ من لَحْمٍ وغَسانِ  
حتّى إذا خِفْتَهُ فارقتُ منزلَهُ  
من بعد ما قيلَ عمرانُ بنَ حطانِ  
قد كنتُ جاركَ حولًا لا يروّعني  
فيه طوارقُ من أنسٍ ولا جانِ  
حتّى أردتَ بي العظمى فأدركني  
ما أدركَ الناسَ من خوفِ ابنِ مروانِ  
فاعذرْ أخاكِ ابنَ زنباعِ فإنَّ لهُ  
في النائباتِ خطوبًا ذاتَ ألوانِ  
لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيةِ  
كنتُ المقدمَ في سرِّي وإعلاني  
لكن أبَتَ لي آياتُ مطهّرةِ  
عندَ التلاوةِ في طه وعمرانِ

عُدت هذه القصيدة من أجمل ما أنشدَ عمران بن حطان؛ فقد اختار كلماته بدقة وتمعن، ورتبها ترتيباً مميّزاً؛ حتى أصبح كلُّ بيتٍ فيها يحملُ معنى ودلالةً يختلف بها عن الآخر، حسب توصيف الفرزدق. الخصائص العامة لشعر عمران بن حطان:

امتاز شعر عمران بن حطان بالسّمات أو الخصائص الآتية:

- امتاز شعره بالصدق الفني.
- امتاز شعره بالسلاسة والخلو من التعقيد.
- امتاز بضعف الخيال والقرب من الحقيقة.
- امتاز بوضوح أفكاره فلا تحتاج إلى اعمال الفكر.
- أغلب شعره وجدانياً جارٍ على الأسلوب القديم.
- الغرض الأساسي عنده هو الحكمة، ثم المدح، والهجاء، وشيء من الرثاء.
- لم يكن محباً للشعراء المذّاحين بغرض التكسب؛ ولهذا لامَّ الفرزدقَ على ذلك؛ وقد روي أنّ امرأته قالت له: ( أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط؟ قال أ وفعلت؟، قالت: أنتَ القائلُ إنّ مجزأة بن ثور كان أشجع من أسامة ( اسمٌ من أسماء الأسد)، أ فيكون رجلٌ أشجع من الأسد؟ فقال عمران: أنا رأيتُ مجزأة فتحت مدينةً، والأسدُ لا يفتحُ مدينةً.

- النقائض لغةً واصطلاحاً:

النقائض لغةً جمع نقيضة مأخوذة في الأصل من نقض البناء إذا هدمه، والحبلُ إذا حلَّه، والنقيضة في الشعر: هي ما ينقض به، وذلك بأن ينقض الشاعر ما قاله الأول.

النقائض اصطلاحاً: هي أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً فيعمدُ الآخرُ إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول.  
نشأة النقائض:

إن بذور نشأة النقائض كان موجوداً منذ العصر الجاهلي، فهي تطور لفن الهجاء؛ ودليلنا هو ما جرى بين أوائل الشعراء الجاهليين آنذاك، من ذلك ما جرى بين الحارث بن عباد والمهلهل بن ربيعة، إذ قال الحارث في قصيدة هاجياً بها المهلهل:

قربا مربط النعامة مني      لقحت حرب وائلٍ عن حيالٍ

فردَّ المهلهلُ على ذلك بقوله:

قرباً مربط المشهر مني      لكليبٍ الذي أشاب قذالي

والملاحظ أن البيتين أعلاه يتشابهان في تكرار المقاطع على الرغم من أن المهلهل لم يقرأ ما كتبه الحارث وقام بالردِّ عليه حرفاً حرفاً؛ وسبب حصول هذا التشابه والتكرار؛ لأنَّ الشعر الجاهلي كان متَّسِّمٌ بالعفوية والواقعية؛ لكنَّ الدكتور شوقي ضيف ذهب إلى أنَّ ما سبق العصر الأموي من شعر لا يمكن أن نطلق عليه النقائض؛ وسبب ذلك عنده أن الشعراء في العصر الجاهلي لم يتقيدوا بالرد دائماً على خصومهم بقصائد من الوزن والقافية نفسها، كما أنهم لم يقبلوا على ذلك إقبال المحترف الذي يهب حياته لمهنة يمارسها.

إنَّ بعض الباحثين والنقاد كانوا قد اختلفوا مع الدكتور شوقي ضيف في رأيه السابق؛ ذاهبين إلى أن الشعر الجاهلي هو من أسس للمناقضة، فعناصرها متوفرة فيه، فلم ضنَّ الدكتور شوقي ضيف بإطلاق النقائض عليها؟.

- أشكال المناقضة الشعرية في العصر الأموي:

سلك شعراء النقائض في العصر الأموي طرقاً مختلفةً ومتنوعةً ترجع إلى أصل عام واحد، وهو أن يسعى الشاعر إلى إفساد ما قاله شاعر آخر، مفسراً المعنى لصالحه، مقللاً من أهمية ما قاله الشاعر الأول ومن أهم الطرق التي اتبعتها شعراء النقائض في نقض الشعر أو القول ما يأتي:

القلب: أي أن يقول الشاعر الأول هجاءً فيردُّ عليه الثاني قالباً عليه معانيه ذاتها، باعدا إياها عن صفات الشاعر الأول.

-المقابلة أو الموازنة: وهي أن يضع الشاعر أقوالاً من المفاخر أو الصفات بحيث تكون مقابلة لما قاله شاعر آخر، وتكون مناظرةً لها.

-التوجيه: ويكون ذلك بأن يتناول شاعران حادثة معينة ويفسرانها على نحو يؤيد موقف كل منهما سواء في الفخر أو الهجاء.

-التكذيب أو تنازع المآثر: وذلك بأن يدعي كل شاعر لنفسه، أو لقومه مآثر بعينها، وينفيها عن الآخر.

-تطور شعر النقائض في العصر الأموي:

تطور فن النقائض في العصر الأموي بشكل كبير على نحو ما دعى بعض الباحثين على قصر شعر النقائض على فن الهجاء فقط، وقد عكس هذا الفن جانباً واضحاً من الصراعات السياسية، والخلافات الحزبية آنذاك.

وقد تطور هذا المصطلح ليدل أكثر على السخرية والهجاء والفكاهة، ومن أبرز رواد هذا الفن جرير والفرزدق والأخطل؛ حيث احيوا هذا النوع من الشعر، مستفيدين من قدرتهم الكبيرة على النقاش، والمناظرات الشعرية التي كانت جارية بين الشعراء في الأسواق الثقافية، وفي مجالس الشعر والأدب، وموظفين الحوار والجدل، مستفيدين من علماء الفقه وعلم اللغة وحلقات العلم وتاريخ الأيام، فالناظر في أشعارهم سيجد الكثير من المعاني والأفكار التي غابت عن أذهان الكثير من الناس؛ بحكم اطلاع الشعراء على التاريخ والنظر في ماضي الآخر المراد هجاءه، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بتاريخه، كما في قول جرير للأخطل: بكي دُوَيْلُ لا يَرِقَى اللهُ دَمْعَهُ أَلَا إِنَّمَا يَبْكِي مِنَ الدُّلِّ دُوَيْلُ

فقال الأخطل: والله ما سمتني أمي دويلاً إلا وأنا صبي صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت.

وقد خاض شعراء النقائض في موضوعات كثيرة غير الهجاء، والفخر، والحماسة التي عُدت أغراضاً رئيسةً لفن النقائض فإلى جانب ذلك تناول الشعراء أيضاً غرض الرثاء، والنسيب، والمديح، من نحو قيام نقيضة جرير على غرض الرثاء عند موت زوجته خالدة بنت سعد بن كليب، إذ قال راثياً لها: ( من الكامل)

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ      و لزرتُ قبركِ والحبیبُ يُزارُ  
ولقد نظرتُ وما تمتعُ نظرةً      في اللحدِ حيثُ تمكَّنَ المَحْفارُ

فردَّ عليه الفرزدق مُفسداً معانيه: ( من الكامل)

أبكى الإله على بلية مَنْ بكى      جدتُ ينوحُ على صداهُ حمارُ  
كانتُ منافقةً الحياةِ وموتها      خزيُّ علانيةً عليكِ وعارُ

شعراء النقائض:

أولاً: الفرزدق:

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال من قبائل تميم المشهورة في الجاهلية، فجدّه صعصعة كان كريماً عظيم الشأن، وكان ينهي قومه عن وأد البنات، وقد اشترى الكثير من المؤدات، وقيل إنها وصلت إلى أربعمئة.

وُلد الفرزدق في البصرة سنة ١٩هـ، ونشأ في بيت عزّ وسيادة، وقد كان لهذه النشأة أثر كبير في الاعتداد بها والتفاخر بمحامدها وهو يردُّ على خصومه ويناقض أعداءه من الشعراء الذين حاولوا الانتقاص من عشيرته. وقد توفي في البصرة في سنة ١١٠هـ.

مكانته بين أدباء العرب في عصره:

امتاز شعر الفرزدق بفخامة العبارة، وجزالة اللفظ، وكثرة الغريب، ومداخلة بعض ألفاظه في بعضها، من حيث التقديم والتأخير، والفصل والوصل، وكثرة تنوع التراكيب والأساليب والاشتغال على المعاني الدقيقة وكان جارٍ فيه على أسلوب الشعراء الجاهليين في شعره؛ لذلك أعجب به اللغويون والنحويون؛ لأنه فسح لهم

مجال القول فيها، وعُدَّ الفرزدق من أشد الشعراء العرب ولعًا بتعداد مآثر آبائه وأجداده وتحدي منافسيه في

مكارمهم ؛ حتى في مدحه للخلفاء؛ وكان ذلك سببًا في حرمانه من العطاء. وروي عن يونس بن حبيب

النحوي (ت ١٨٩ هـ) أنه قال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب.

-أغراضه الشعرية:

للفرزدق أشعار كثيرة قالها في أغراض متنوعة في الهجاء والمدح والغزل والرتاء وأهم هذه الأغراض عند الفرزدق هو الهجاء والمدح وأكثر شعره في الهجاء، ثم يليه المدح، وله رثاءٌ جيد كقوله عن نفسه ( أنا مدينة الشعراء)، أما غزله فهو قليلٌ، ورجزه أقلُّ، والمديح هو الغرض الذي يحصل بوساطته الشاعر على الصلات والعطايا، ولم يكن الفرزدق يمدح بغية جمع المال؛ لأنه في غنى عن ذلك لثراء أسرته. ولكنه مدح بعض ولاة العراق، ليتقرب إليهم، إما لحاجات قبيلته، وإما لاتقاء شرهم، ومعانيه في المدح تكثر فيها

المعاني الإسلامية بجانب المعاني القديمة فنجده يصف ممدوحه بالعدل وشرف النسب، والكرم، وأصالة المجد وقدمه. ومن شعره في المديح، قوله في مدح الامام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقي النقي الطاهر العلم	هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
حلو الشمائل تحلو عنده نعم	حمال أثقال أقوام إذ افتدحوا
ما قال لا قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت	عنه الغياهب والإملاق والعدم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

قال الفرزدق هذه القصيدة لما حجَّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه عبد الملك بن مروان، إذ طاف بالبيت الحرام وبذلَّ جهدًا للوصول إلى الحجر الأسود ؛ فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، فنُصب له كرسيٌّ يجلس عليه وينظر إلى الناس ومعه مجموعة من أعيان الشام؛ فبينما هو كذلك أقبل الإمام زين العابدين علي بن الحسين

بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ففسح جمع الناس له المجال، فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس أيضا حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام بن عبد الملك: مَنْ هذا الرجل الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرا، فقال أنا أعرفه ثم اندفع فأنشد هذه القصيدة التي أغضبت هشام وأمر بحبسه بين مكة والمدينة.

- جرير:

هو جرير بن عطية بن الخطفي، وكان جدّه الخطفي وأبوه عطية وأمه كلهم شعراء، وجرير من فحول شعراء العصر الأموي، فقبل إتهه غرف من بحر، ودار شعره في مختلف الأغراض، وغلب عليه الهجاء. وقد كان لنشأته في البادية أثر في تكوين عقليته وثقافته اللتين ظهرتا في شعره.

وسبب تسميته بجرير هو أن أمه وهي حامل به رأت في منامها كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط منها جعل الحبل ينزوي فيقع في عنق رجل فيخنقه؛ حتى فعل ذلك برجال كثير؛ ففرغت الأم، فأولت الروية:

إنك تلدين غلاما شاعرا ذا شرّ وشكيمة وبلاءٍ على الناس، فلما ولدتُه سمّته جريرا باسم الحبل الذي رآته في منامها. وفي سن العاشرة تفتقت موهبته، فكان أول ما قاله من الشعر هو هجاء لغسان السليطي في عهد معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤١هـ، وكان السبب في الهجاء أن بني سليط وبني الخطفي تنازعا على غدير من الماء، فحمى جرير لقومه وهجا بني سليط بأراجيز تتراوح بين البيت والعشرة، يردُّ على غسان السليطي شاعر بني سليط، وهذا الحادث أفرز عبقريا كان إلى هذا الوقت صبيّا ليس له من عملٍ إلا أن يرعى الغنم، وكان أول ما قاله: لا تحسبني عن سليط غافلا أن تغش ليلا بسليط نازلا

فانطلق هذا الصبي الصغير يقول الرجز ويهجو غسان، وظلا يتهاجيان ردحا من الزمن.

مكانته: عُرف جرير بذكائه الحاد، مع سرعة البديهة، وقوة الطبع، ونبوغ في الشعر صيره الهجاء الأول في عصره؛ فقد نبغ في الهجاء أيما نبوغ؛ فكان قادرا على توليد المعاني، وملاحظة عيوب خصمه، وتصويرها بصورة ساخرة ظريفة، وشبهه ابن سلام الجمحي بالبازي الذي يضرب صغير الطير وكبيره، وقل نظيره بالإسلام. إن ضعف نسب جرير وقبيلته قابلها قوة شاعريته التي تغلب بها على كل شعراء عصره، فلم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل. وسئل بشار العقيلي عن جرير والفرزدق، فقال كان جرير يُحسن ضروبا من الشعر لا يُحسنها الفرزدق، ففضل جرير عليه. وكان الفرزدق على حسبه وعزة كبريائه يتصور ويجزع إذا أنشد لجرير،

وكان جريرٌ أصبر من الأخطل والفرزدق. وسُئِلَ ابن سلام ابن مروان بن أبي حفصة أن يحكم بين الثلاثة في الشعر، فقال:

ذهب الفرزدق بالفخار                      وإنما حلو الكلام ومُره لجريرِ .  
ولقد هجا فأمضى أخطلُ                      تغلبَ وحوى اللّهي بمديحه المشهور  
كلُّ الثلاثة قد أجادَ فمدحهُ                      وهجاؤهُ قد سار كلَّ مسيرِ

ومن مواقف الخليفة عبد الملك بن مروان والتي تدل على مدى رضا الخليفة عنه، واجزال العطايا له قصة مع الإعرابي الذي كان يحضر مأدبة أقامها الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان ممن حضر الوليمة جرير، ودار حوار بين الخليفة والإعرابي، فسأله الخليفة عن أي بيت أمدح، فقال قول جرير:

أستم خير من ركب المطايا                      وأندى العالمين بطون راح

فلما سمع جرير ذلك رفع رأسه، ثم سأله الخليفة: أي بيت قالته العربُ أفخر، قال: قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم                      حسبت الناس كلهم غضابا

هنا تحرك جرير ثم قال الخليفة فأبي بيت أهجى؟ قال قول جرير:

فغض الطرف أنك من نمير                      فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فاستبشر لها جرير. فأبي بيت أغزل. قال: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور                      قتلنا ثم لم يحين قتلانا

فاهتز جرير لذلك وطرب. ثم قال له: فأبي بيت قالته العربُ أحسن تشبيهاً، قال قول جرير:

سرى نحوهم ليل كأن نجومه                      قناديلُ فيهن الدبالُ المفتلُ

وهنا قفز جرير وقال إنه سيعطي الأعرابي جائزته، فردّ عليه عبد الملك إن له جائزة من بيت المال لا ينقص منها شيئاً.

هو شاعر نصراني من قبيلة تغلب اتفق الرواة على أنه وجريز والفرزدق ثلاثي الشعر في العصر الأموي، ذاع صيته عندما جعله الخليفة عبد الملك بن مروان واحداً من شعراء البلاط الأموي. واسمه غيَّاث بن غوث بن الصلت ويكنى أبا مالك، وُلد في الحيرة في العام (١٩ هـ الموافق ٦٤٠م)، ونشأ على النصرانية، وقد عاش في دمشق ردهاً من الزمن، وأقام حيناً آخر في منطقة الجزيرة السورية، لُقِبَ الشاعرُ بالأخطل؛ ولهذا اللقب ثلاث رواياتٍ: الأولى هي: أنه لقب أطلقه عليه شاعر بني تغلب كعب بن جُعيل؛ حينما قال له: يا غلام إنك لأخطلٌ لطول أذنيه ورخاوتها إهانة له. والرواية الثانية جاءت في لسان العرب: إنَّه سُمي بالأخطل لخطل لسانه؛ أي لطوله. أما الرواية الثالثة: قيل إنَّه كُنِيَ بذلك لفُحش كلامه، فقد أورد الأصفهاني في كتابه الأغاني أنَّ الأخطل هجا رجلاً من قبيلته؛ فقال له: يا غلامُ إنك لأخطلٌ، فلقب بذلك.

### مكانته بين معاصريه:

وردت روايات كثيرة في شاعريته، فقد وصفه الفرزدق حينما سئل عن أشعر الناس؟ فأجاب: كفاك بي إذا افتخرتُ، وبجريزٍ إذا هجا، وابن النصرانية ويريد بذلك الأخطل إذا امتدح.

وقال عنه أبو عمرو بن العلاء لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلتُ عليه أحداً. أما جريزُ فقال عنه: ابن النصرانية أرمانا للفرائض، وأمدحنا للملوك، وأوصفنا للخمر والحمر ويعني النساء.

قرض الأخطل الشعرَ صغيراً، إلا أنه اكتسب الشهرة بسبب قربه من البلاط الأموي، وكان ذلك حينما اتَّصل به يزيد بن معاوية وكان ولي عهد والده معاوية بن أبي سفيان، وتعود القصة إلى أن يزيد بن معاوية غضب من عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري؛ لأنه شبب بامرأة؛ فأمر يزيد الشاعر كعب بن جعيل أن يهجو عبد الرحمن بن حسان الأنصاري وقبيلته بأكملها، وقد خاف كعب بن جُعيل من هجاء قوم ناصرُوا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأشار إلى أنه إذا لم يكن قادراً على هجائهم فهو يعرف من يستطيع أن يهجوهم، دون أن يرمى ذمّة، فكان الأخطل.

هجا الأخطل الأنصار هجاء لاذعاً قاسياً مستخدماً أسلوباً وألفاظاً قللت من شأنهم؛ إذ ضرب على وتر حساس عند العرب فجعلهم دون قريش مكانة وشرفاً، مثيراً ما كان بين العدنانية والقحطانية من عداة تاريخي، قال فيها:

ذهبت قريش بالمكارم والعلأ      واللؤم تحت عمائم الأنصار  
فذرؤا المكارم لستم من أهلها      وخذؤا مساحيكم بني النجار

قربت تلك الحادثة الأخطل من البلاط الأموي وكانت مقدمة للاتصال بهم ؛ فحصل منهم على المال والجاه والشهرة، وعاش متكسبا من تلك المهارة؛ فأصبح الأخطل شاعر الأمويين والناطق الرسمي باسمهم، والمروج لسياستهم، والمدافع عنهم.

كما عُرف الأخطل بقصائد هجائية جمعتة وجرير، فهجا كلاهما الآخر، قال جرير:

قبح الإله وجوه تغلب إنها      هانت علي مراسنا وسبالا  
قبح الإله وجوه تغلب كلما      شبح الحجيج وكبروا إهلالا  
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد      وبجبرائيل وكذبوا ميكالأ

فما كان من الأخطل إلا أن يرد عليه بقصيدة طويلة على الوزن نفسه والقافية نفسها، اعترف جرير أن الأخطل قد غلبه فيها، قال الأخطل فيها:

كذبتك عينك كم رأيت بؤاسط      غلس الظلام من الرباب خيالأ  
فانعق بضائك يا جريرُ فإنما      منتك نفسك في الخلاء ضلالأ  
منتك نفسك أن تسامي دارما      أو أن توازن حاجبا وعقالأ  
وإذا وضعت أباك في ميزانهم      قفزت حديدته إليك فशलأ  
إن العرارة والنبوحة لدارم      والمستخف أخوهم الأثقالأ  
المانعين الماء حتى يشربوا      عفواته ويقسموه سجالأ  
وابن المراغة حابس اعياره      قذف الغريبة ما يذقن بلالأ

توفي الأخطل في السبعين من عمره في سنة ( ٩٠ هـ الموافق ٧١٠م). في السنة الخامسة من خلافة الوليد بن عبد الملك بين قومه في الجزيرة الفراتية في سوريا.

## -الغزل العذري في العصر الأموي:

هو الغزل البدوي وهو على النقيض من الغزل الحضري، فهو لون من الشعر الغزلي ظهر في بوادي نجد والحجاز، ويُعرف بأنه نمطٌ من الغزل العفيف يعبرُ الشاعرُ فيه عن عاطفة الحب تجاه المرأة بأسلوب متعففٍ بعيدٍ عن الوصف الحسي المُخدش للحياء والمثير للشهوات، ويسمو فيه الجانب الروحي على الجانب الجسدي أو المادي؛ إذ يصف فيه الشاعر معاناته وأحزانه من عدم التواصل بينه وبين محبوبته فهو غزل معاناة وصدٌّ ويأس لا غزل تواصل وسرور، ويسمى هذا الغزل بالغزل العذري ؛ نسبة إلى قبيلة عذرة وهي القبيلة التي ظهر فيها أكثر من شاعر يتغزل غزلاً عفيفاً، روحياً؛ فغلب عليه تسمية الغزل العذري.

وليس معنى هذا أنّ كلّ شعراء الغزل العذري كانوا من قبيلة عذرة، فجميل بن معمر كان عذرياً، وعروة بن حزام كان أول الشعراء العذريين، وقيس بن الملوح، وقيس بن ذريح، وكثير بن عبد الرحمن.

وقد تميز الغزل العذري بأن الشاعر المحب يخلص فيه لامرأة واحدة؛ ولذلك يردد اسمها في شعره، ولا يذكر غيرها؛ ولذا ارتبطت أسماء شعراء الغزل العذري بأسماء محبوباتهم؛ فهذا جميل بثينة ، وقيس ليلي، وقيس لبنى، وكثير عزة. إنّ للغزل العذري جذور في العصر الجاهلي ؛ فهناك من تغزّل غزلاً عفيفاً ، أمثال المرقش الأصغر، وعبد الله بن جدعان وغيرهما؛ لكنه نضج وازدهر في العصر الأموي ، إذ تهيأت له دوافع وأسباب، وظهرت له سمات وخصائص ولعلّ أهم أسباب ظهوره، هي:

### 1-الفراغ السياسي:

تهيأ هذا الفراغ لأبناء البادية فقد ظلوا بعيدين عن الخوض في أمور الخلافة والسياسة بحكم بعد الصحراء عن مركز المدينة مما يعني البعد عن التطورات والخلافات السياسية والاجتماعية؛ كما أنهم نأوا بأنفسهم عن الخوض في مثل هذه الأمور التي لا تنسجم واهتماماتهم؛ فأتاح لهم فراغاً ساهم في انشغالهم بالشعر.

٢-الفقر والعوز: ظلّ الإنسان في البادية يعاني من شظف العيش والحاجة إذ كان ينتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والكلأ، فحياتهم بدائية يسودها الحرمان والجفاف؛ مما انعكس على نشاطته وعلاقته ؛ مما عزّز حالة الحرمان والجفاء واليأس الذي بدى في شعرهم هو انعكاسٌ لحياتهم البائسة المؤلمة.

إنّ المجتمع البدوي تسوده عادات وتقاليد قاسية ظلّ البدوي متمسكاً بها؛ فزادت من حالة الحرمان واليأس في العلاقات الإنسانية، لاسيما حالات الحب، ومنها تحريم اختلاط المرأة بالرجل؛ بل أنّ ذلك عدّ جرماً كبيراً تُعاقب المرأة والرجل عليه؛ إذ تُزوّج المرأة بـرجل من خارج القبيلة لغرض ابعادها عنه خوفاً من العار، ومثل هذه العادات زادت من تعلق المحبين بعضهم ببعض تحديداً لهذا الظلم فالشاعر يظل يذكر الحبيبة وكأنّ بعدها عنه يشكل حافزاً لنظم الشعر وذكر الحبيبة.

٤-الإسلام:

كان الإسلام حافزاً ومشجعاً لمثل لهذا اللون من الغزل؛ لأن الأعراف البدوية مطابقة لما جاء به من محافظة على الدين الإسلامي الحنيف؛ لاسيما ما يتعلق بالعفة والشرف والمحافظة عليهما من أن تكون وسيلة للشهوات والعبث. فقد وجدنا بعض مما في شعر الغزل المتعفف البعيد عن الشواذ منسجماً مع الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته في ذلك الشعر.

#### -السمات الفنية في شعر الغزل العذري:

اتسم شعر الغزل العذري بمجموعة من السمات نذكر منها:-

١-العفة والطهارة : ومن ضمنها الابتعاد عن الوصف الحسي إلا ما جاء عفويًا، واقتصار الشاعر على ذكر امرأة واحدة وهي الحبيبة، والإخلاص لها؛ فلذلك اقترن اسم الكثير من الشعراء بمحوباتهم مثل جميل بثينة، وكثير عزة، وقيس ليلي وهكذا، من نحو قول جميل :

وَإِنِّي لِأَرْضِي مِنْ بَثِينَةَ بِالذِّي      لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاشِي لَقَرْتُ بِلَابِلِهِ

الواشي: الحاسد. بلابله: الوسواس

ومثل ذلك قولُ قيس بن ذريح (قيس لبنى):

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذَكَرَاكَ رَعْدَةً      لَهَا بَيْنَ جُلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا      وَمَا أَعْقَبْتَهَا فِي الرِّيَاحِ جَنُوبُ

٢- طابع الحزن واليأس والتشاؤم: وهي سمات غلبت على الغزل العذري وذلك بسبب انعدام التواصل بين المحبين فمعظم أو كل تجارب العشاق كانت فاشلة ينعلم فيها التواصل والتلاقي، نحو قول جميل بثينة:

وإني لأهوى النوم في غير حينه      لعلّ لقاءً في المنام يكونُ

تحدثني الأحلام إنني أراكم      فياليت أحلامَ النهارِ يقينُ -

٣- سيادة طابع الصدق العاطفي والفني:

تميز الغزل العذري بصدق العواطف وسموها ونقائها، وهذا يتضح في صدق اللغة ووضوحها وبعدها عن التكلف والمبالغة، فأساليب الشعراء بسيطة عفوية غير متكلفة، قال قيس بن ذريح:

وإن تكُ قد أتى دون قربها      حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيلُ  
فإن نسيم الجوّ يجمعُ بيننا      ونبصرُ قرنَ الشمس حين تزولُ  
وأرواحنا في الليل في الحي      تلتقي ونعلم إننا بالنهار نقيلُ

٤- اختفاء تقنية الحوار في هذا النوع من الغزل: والذي كان موجوداً في الغزل الحسي أي الحضري، وذلك بسبب عدم اللقاء بين الحبيبين في الغزل العذري فلا وجود للقصة.

٥- شيوع طابع التمني، أو كثرة التمنيات؛ لأن الشاعر يعيش في حالة من انعدام التواصل والبعد عن الحبيبة؛ فقد بالغوا أحياناً في أمنياتهم، فهذا جميل بثينة تمنى أن يكون أعمى أصم تقوده بثينة، قال:

ألا ليتني أعمى أصمّ تقودني      بثينة لا يخفى عليّ كلامها

٦- الوحدة الموضوعية:

إن القصائد والمقطوعات في الغزل العذري مستقلة لوحدها؛ حتى أننا وجدنا أنّ بعض دواوين شعراء الغزل العذري اقتصرت على الغزل العذري وحده فالوحدة الموضوعية سمة هذا النوع من الشعر.

٧- طابع التكرار

إنّ أغلب قصائد الغزل العذري تكاد تكون متشابهة؛ ففيها تتكرر أساليب التمني والترجي والمعاناة واليأس.

## الشاعر جميل بن معمر :

هو أبو عمر جميل بن عبد الله بن معمر من بني عذرة وهم إحدى قبائل قذاعة اليمينية وهو أحد أعلام شعراء الغزل في العصر الأموي، وأحد عشاق العرب المجهولين اشتهر بحبه لبثينة من بني عذرة وتغزله بها في جُلِّ شعره، حتى نُسب إليها؛ ف قيل له جميل بثينة. وقد اشتهرت قبيلة عذرة بجمال نسائها وعفة شعرائها الغزليين، فقد قيل لجميل ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوا ماتوا ، فقالت امرأة سمعته: عذري ورب الكعبة. كانت علاقة جميل ببثينة لا تتعدى الحديث والمناجاة وتبادل النظرات، فكان حُبُه عفيفاً بعيداً عن الفحش والشهوات الجسدية؛ ومن هنا أطلق على الشعر الغزلي العفيف اسم الغزل العذري نسبة إلى قبيلة عذرة التي ينتمي إليها الشاعر جميل بثينة وشعراء آخرون عُرِفوا بعفتهم في غزلهم وقد صور جميل بثينة عفته في قوله:

لا والذي تسجدُ الجباهُ له      ما لي من دون ثوبها خبرُ  
ولا بفيها ولا هممتُ به      ما كان إلا الحديثُ والنظرُ

إنَّ جميلاً قد رقى بحبه لبثينة، وقد شهد له الرواة والمؤرخون بصدق الصباية، وكان أهله يعذلونه على تعلقه الخائب بها.

لقد حمل الشعر الغزلي لجميل معاني لم يُسبق إلى كثيرٍ منها، وفي معانيه المبتكرة ما يذكرنا بمعاني الصوفية ؛ وذلك في تعبيره عن حبه لبثينة من أنه سابق لوجودهما وأنَّ تعلقه بها ملازم لهما طوال حياتهما؛ بل هو باقٍ بعد موتهما:

تعلق روعي روحها قبل خلقنا      ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد  
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً      وليس إذا متنا بمنتقص العهد

فالوحدانية في الحب من سمات الغزل العذري ، ولفرط تعلقه ببثينة وعفته في حبه كان يقنعُ منها بالنظرة العجلى واللقاء العابر، إذ قال:

وإني لأرضى من بثينةً بالذي      لو أبصر الواشي لفرت بلائله

## السمات العامة لغزل جميل بثينة:

- ١- عُذُ غزل جميل بثينة من أرقى نماذج الغزل العفيف وأجودها معنى وأسلوباً.
- ٢- في شعره عذوبة ورقة مع متانة في التأليف وإحكام النسيج.
- ٣- تميز بصدق العاطفة وقوتها.
- ٤- تغنى المغنون بشعر جميل لرقه ألفاظه وسهولة أسلوبه وخفة وزنه.

قصيدة جميل بثينة: -

ألا ليت ريعانَ الشبابِ جديداً	ودهرٌ تولى يابثينَ يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم	قريبٌ وإذ ما تبدلينَ زهيداً
وما أنسى من الأشياءِ لا أنسَ قولها	وقد قُربتِ نضوي أَمِصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى	لزرتكُ فاعذرنِي فدتكُ جدودُ
خليلي ما ألقى من الوجد باطنُ	ودمعي بما أخفي الغداةَ شهيدُ
إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتلي	من الحبِ قالتِ ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلتُ رُدي بعضَ عقلي أعش به	تولتُ وقالتِ ذاكُ منكُ بعيدُ

الغزل الحسي أو الحضري:

هو لون من شعر الغزل ظهر وتطور في حواضر الحجاز ومكة والمدينة، وله تسميات منها الغزل الحسي، أو الغزل الحضري، أو الغزل المادي المكشوف، أو الغزل الواقعي كما سماه الدكتور طه حسين في كتابه حديث الأربعاء، فكل هذه التسميات تفضي إلى أنه نوع من الغزل يصف فيه الشاعر عاطفة الحب تجاه المرأة، محاولاً وصف الحبيبة بصفات تظهر محاسنها الجمالية بشيء من الحسية أي تدرك هذه الصفات بوساطة الحواس؛ وهو غزل حضري أيضاً؛ لأنه ظهر في حواضر المدن فحمل سمة التحضر، وهو واقعي؛ لأنه عبر عن واقع عاشه الشاعر مع المرأة الحجازية في ظل مجتمع جديد متطور، وبحسب تعليل الدكتور طه حسين فإن شاعر الغزل الحسي الواقعي يحقق فيه علاقة الحب في الأرض لا في السماء أي علاقة واقعية وليست خيالية.

وكل هذا يؤدي إلى نوع من شعر الغزل كان قد ظهر على أيدي شعراء العصر الجاهلي؛ ولاسيما شعر

امرئ القيس؛ ولكنه أخذ شكلا آخر في العصر الأموي وفيما يأتي مقارنة بين الغزل الحسي في العصر الجاهلي والغزل الحسي في العصر الأموي.

١- الغزل في العصر الجاهلي لم يكن مستقلا بل نظم ضمن قصيدة متضمنة موضوعات عديدة ، وغالبا ما يشكل مطلع القصيدة، أما في العصر الأموي فقد استقل الغزل الحسي بقصيدة مستقلة أو مقطوعة لوحدها؛ فأصبح للغزل كيانا مستقلا بذاته؛ حتى أن بعض الشعراء الأمويين أفردوا ديوانا خاصا بالغزل كما فعل عمر بن أبي ربيعة.

٢- الغزل في العصر الجاهلي خالٍ من الوحدة الموضوعية فهو يأتي بمعية أغراض أخرى متعددة، كالمديح والثناء و الوصف، أما في العصر الأموي فقد تحققت الوحدة الموضوعية في القصيدة الغزلية.

٣- اتسمت لغة شعر الغزل الأموي بالرقّة والسلاسة والسهولة، إذ تكاد تقترب من اللغة اليومية للبيئة الحجازية آنذاك، كما أن أوزانه وبحوره الشعرية غلب عليها المجزوءات والخفة والسرعة، بخلاف الغزل في العصر الجاهلي الذي اتسمت لغته بالقوة والمتانة وجودة السبك، فضلا عن توظيف الشاعر للبحور الشعرية التي تتطلب نفسا طويلا مثل بحر الطويل والبحر الكامل.

### عمر بن أبي ربيعة:

هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، من أشعر شعراء الغزل الحضري أو الحسي؛ بل انه شكل مدرسة شعرية ، أو تيارًا لوحده.

وهو شاعر مكي قريشي ينتمي لقبيلة قريش وإلى بيت من أبرز بيوتها وهو بيت بني مخزوم ويكنى بأبي الخطاب، ولد في مكة المكرمة في ٢٣هـ، وينتمي إلى أسرة عُرُفت بغناها وشرفها وحسبها ؛ فقد كان أبوه يلقب بالعدل؛ لأنَّ قريشا كانت تكسو الكعبة عاما، ويكسوها هو لوحده عاما اخر، أي أن والده كان يعدل قريشا في كسوة الكعبة الشريفة؛ وهذا يدل على ثراء أبيه الذي امتنَّ التجارة، قامت أمه بتربيته بعد وفاة أبيه، وقد بالغت في العناية به وتدليله، فعاش مترفًا مُدلا في بيئة تتوعت فيها أصناف اللهو والمتع والترفيه في مجتمع متحضر، وقد زاد على ذلك أن عمرا عُرُف بوسامته، ولذلك عدت شخصيته بأنها شخصية متفردة بين شعراء عصره إذ توفر له ما لم يتوفر لغيره؛ لذلك انفرد بغزل نادر لم نعرف مثله من قبل.

عُدَّ عمر بن أبي ربيعة شاعرا متجددا في غزله إذ أضفى على الغزل سمات جديدة وأساليب انسجمت مع حياة التحضر في حواضر الحجاز، ويمكننا تشخيص عاملين أثرا في شخصية عمر بن أبي ربيعة والتي صيرته شاعرا مختلفا مجددا ، هما:

١- البيئة الصغرى: ونقصد بها البيئة الأسرية للشاعر والتربية المبكرة التي تلقاها من أمه بعد وفاة أبيه والتي كان دورها كبيرا في تكوين شخصيته فقد تربي على الدلال والتسامح، والحرية واللهو، حتى قيل إنَّها كانت تصحبه إلى مجالس النساء، فدخل عالمهن وعرف أسرارهن وخباياهن ، واهتماتهن الدقيقة، وكل ما يخص النساء وأساليبهن وحركاتهن؛ لذلك صار عالما بشؤون المرأة

فقد حكى في شعره جزئيات دقيقة عن عالمهن الخاص من زينة وملبس وعطر ودلال، وطريقة تعاملهن مع الرجال، وهذا ما لم يتح لشعراء آخرين غيره.

٢- البيئة الكبرى: ونقصد بها العوامل المتصلة بالمجتمع والتي كان لها دور كبير في شخصية عمر وتوجيهها هذا التوجه الجديد المختلف، فقد عاش مرحلة شبابه في مكة المكرمة التي شهدت تغييرا كبيرا بعد الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي؛ فقد حظي هذا المجتمع بأحداث جديدة وتغيير في العادات وأساليب الحياة وقد كثرت مجالس الغناء والطرب، ودخلت الموسيقى وأدواتها، والنساء الجميلات من الروميات والفارسيات اللاتي امتلأ المجتمع بهن ، فكن مغنيات يجدن العزف على الآلات الموسيقية. ففي هذا المجتمع تربي عمر بن أبي ربيعة، وفوق هذا تهيأ له الثراء المادي والوسامة والدلال والحسب الرفيع.

### مظاهر التجديد في شعر عمر بن أبي ربيعة:

يمكننا ايجاز مظاهر التجديد في شعر عمر بن أبي ربيعة بما يأتي:

#### ١- طابع التعالي والاعجاب بالنفس:

ظهر عمر بن أبي ربيعة في تغزله بالمحبة عكس المألوف وخلاف الواقع، فقد كان في غزله هو المعشوق وليس العاشق وهو المحبوب وليس المحب وهو المتبوع وليس التابع، ولذلك أخذ دور المرأة ؛ لان المرأة عادة هي المحبوبة والمعشوقة والمتبوعة، فقد صور عمر نفسه في شعره الغزلي مرغوبا من قبل النساء ولا زلن يتهافتن عليه ويزاحمن عليه ينما حل وذهب، فهو معجب بنفسه إيما اعجاب، حتى بدى نرجسيا في تصرفه وتصوره، إذ قال:

قالت لثرب لها تحدثها  
لنفسدَن الطوافَ في عمر  
قومي تصدي له ليبصرنا  
ثم اغمزيه يا أختي في خفر

ومثل هذا قوله أيضا:

بينما ينعتني أبصرني  
دون قيد الميل يعدو بي الأغر  
قالت الكبرى: أتعرفن الفتى  
قالت الصغرى وقد تيمتها  
قالت الوسطى: نعم هذا عمر  
قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

وكان الدكتور شوقي ضيف قد فسر هذه الظاهرة في كتابه التطور والتجديد في العصر الأموي بأن عمرا مصاب بالنرجسية، وهي عقدة نفسية يكون الإنسان فيها معجبا بنفسه، وهذه العقدة أشبه بالمرض النفسي.

٢- القصة الحوارية:

هي سمة أساسية في غزل عمر فقد نظم قصائده الغزلية على أسلوب القصة الطريفة اللاهية؛ حتى قال عنه الدارسون: عمر بن أبي ربيعة قاص موضوعه المرأة.

٣- طابع اللهو والمرح :

امتاز غزل عمر بخلوه من الأحزان والمعاناة واليأس؛ فهو قائم على التفاؤل والمرح ؛ لأنه نشأ في مجتمع تسوده الحرية والانفتاح وروح التسامح؛ بعيداً عن الهموم والعصبية القبلية.

٤- طابع التحضر والواقعية:

كان مجتمع عمر متحضرا لذلك تجلت صور التحضر والواقعية في شعره الغزلي، تناولها الشاعر بطريقة مرحة بعيدة عن الأحزان، وقد تجسد ذلك التحضر في لغته الشعرية فهي سهلة رقيقة، وعذبة، وقد فضل توظيف البحور الخفيفة والسريعة في موسيقاه الشعرية ليباعد عن الإطالة والرتابة، قال عمر راسماً صورة واقعية لنمط من النساء المتحضرات:

وقد قالت لأتراب لها  
كالمها يلعبن في حجرتها  
خذن عني الظل لا يتبعني  
ومضت تسعى إلى قبتها

وقال في عطرها :

خود يفوح المسك من أرائنها والعنبر ( الخود: الفتاة الجميلة في مقتبل العمر).

قصيدة عمر بن أبي ربيعة ( وهل يخفى القمر) وتحليل بعض من أبياتها:

هَيَّجَ الْقَلْبَ مِغَانٍ وَصَيَّرَ	دارساتٌ قد علاهُنَّ الشجرُ
ورِيحُ الصَّيْفِ قد أزرَتْ بها	تنسجُ التُّرْبَ فنونًا والمطرُ
ظَلَّتْ فِيهَا ذاتَ يومٍ واقفًا	أسألُ المنزلَ هل فيه خبرُ
للتّي قَالَتْ لِأترابِ لها	قُطِفَ فِيهِنَّ إنْسٌ وخفرُ
إذ تَمْشَيْنَ بجوِّ مؤنِقِ	نيرِ النَّبْتِ تخشاهُ الزهرُ
بِدِمَاطٍ سَهْلَةٍ زِينِها	يومٌ غيمٍ لم يخالطُهُ قترُ
قد خلونَا فتمنينَ إذ بنا	إذ خلونَا اليومَ نُبدي ما نُسزُ
بينما يذكُرُنّي أبصرنني	دونَ قيدِ الميلِ يعدو بي الأغرُ
قالتِ الكبرى: أ تعرفُن الفتى؟	قالتِ الوسطى: نعم هذا عمر
قالتِ الصغرى وقد تيمّنتُها	قد عرفناهُ وهل يخفى القمرُ؟

التحليل:

يقف الشاعر في قصيدته هذه على أطلال محبوبته وهي خالية من الناس؛ ليخبر المستمع والقارئ بما كان يدور في تلك الديار من قصص جميلة وذكريات مرّ بها الشاعر، واصفًا حال الديار الخالية والرياح التي تلاعب ترابها وتسفيه، مشكلاً لوحة فنية جميلة، وقد ذكر أن حبيبته قد خرجت صويحاتها اللواتي في مثل سنّها في يوم صحو رائقٍ تفتحت فيه الأزهار، فتمنت المحبوبة لو أنها استطاعت الإفصاح عمّا يعتلج في قلبها من الشوق، وعلمت أترابها أنّها تريد لقاءه، وإذا بعمر يمرّ على فرسه الأغرّ يعدو به، فسألت الكبرى من هذا الفتى؟ فقالت الوسطى: إنّه عمر بن أبي ربيعة، لشكّل الصغرى التي كانت متيمةً به أنّه معروف كمعرفة القمر.

## الفنون النثرية:

نعرض لأبرز الفنون النثرية التي ظهرت في العصر الأموي، وهي: الخطابة وأساليبها وتطورها، والكتابة وتطورها، وفن الرسائل، وفيما يأتي تفصيل لكل منها:

### أولاً: الخطابة وأساليبها وتطورها:-

الخطابة: هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإمتاع والاقناع، بكلام بليغ وجيز، فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها.

ازدهر النثر بعد نزول القرآن الكريم في العصر الإسلامي؛ وذلك للحاجة إلى المراسلات بعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية؛ نتيجة للفتوحات الإسلامية؛ فأصبحت الحاجة ملحةً للخطابة، من أجل تعليم الناشئين والداخلين إلى الإسلام، ثم تطورت الخطابة وازدهرت في العصر الأموي؛ إذ افتتن الخطباء بها كثيرًا، وقد عُدَّ العصر الأموي النموذج المكتمل للخطابة دون العصور السابقة؛ فقد ازداد عدد الخطباء ازديادًا ملحوظًا؛ بسبب تعدد الطوائف والمذاهب الفكرية، فكان لكل حزب من الأحزاب خطباء متخصصين به، فقد كان الخطيب الأموي يوظف أسلوبه الخاص من أجل التأثير في عواطف الجمهور وتفكيرهم، من نحو تحسين الحلية اللفظية بالطباق والجناس، والسجع، ومن ثم أصبحت الخطابة فنًا عمليًا، واصلاحياً وبه يتمكن الخطيب من تقديم المعنى المراد ايصاله للجمهور.

### عوامل ازدهار الخطابة في العصر الأموي:

#### ١-عوامل سياسية:

قامت الدولة الأموية على أنقاض فتنة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، إذ انتهت إلى حروب بين الإمام علي بن أبي طالب ( عليه السلام) وبين معاوية، فظهر جيش الخوارج وحارب بني أمية ومن هنا تعدد الفرق وزادت الأحزاب السياسية المعارضة، وكثُر مشعلو الحروب الداخلية والفتن؛ مما جعل الأمر بحاجة إلى الدعوة السرية والخطابة العلنية، إذ كانت هذه الأحزاب والثورات تستعين بالخطباء؛ بغية التخفيف من حدة الفتن.

كان للعامل الديني دورٌ كبيرٌ في الخطابة؛ لأن الخطباء هم من المسلمين الذين اقتترنت خطبهم بالدين ، فقد كان في كل بلدٍ إسلامي مدرسة دينية تضم الخطباء والعلماء المسلمين الذين يتحاورون ويتناقشون في الأمور الدينية والفقهية، فأضحت هذه الموضوعات بمثابة قصص للوعظ والإرشاد، وتُلقي على شكل خطبة. ومن ثم أصبحت الأحزاب السياسية تتخذ هذا النوع من الخطابة من أجل الدعوة لأفكارها؛ مما زاد من أعداد الخطباء الذين غطت خطبهم مساحة واسعة من كتب الأدب.

### ٣- عوامل اجتماعية وعقلية:

بدأ العقل العربي في العصر الأموي بالإفادة من الثقافات الأجنبية الأخرى؛ مما نهض بقوة الجدل والاحتجاج في أساليب الخطابة، إذ كثرت المعارف وزادت الأفكار، ومن ثم أصبح الخطباء يوظفون الخطابة في أمورهم كافة و قضاياهم مثل الأحزاب السياسية والمعتقدات الدينية، ثم يتناقشون فيها في المساجد، والطرقات، والأسواق؛ مما حدا بالجاحظ أن يخص العربَ وحدهم بالخطابة.

### أنواع الخطابة في العصر الأموي:

إنّ الهدف من الخطابة هو استمالة الآخرين أو الجمهور إلى رأيٍ أو موقف ما، لذلك لا نجدُ مجتمعًا خالٍ من هذا الفن طبقًا للظروف والمواقف التي تستدعي ذلك، ومن هنا تنوعت الخطابة في العصر الأموي على النحو الآتي:

#### ١- الخطابة السياسية:

يُعد هذا النوع من الخطابة هو الأهم في العصر الأموي؛ لأثره الكبير في التاريخ العربي وتدوين أحداثه، إذ كانت الخطابة السياسية في بدايتها على شكل كلام شفاهي، يُلقى ارتجالاً أمام الجمهور، أو يتناول الخطيب في حديثه قضايا الحكم وما يتعلق به بقصد استمالة الجمهور، ولذلك عُدَّ هذا النوع من الخطب الأكثر تأثيرًا في الجمهور لاسيما في أوقات الحرب، فقد اتخذ كل حزب سياسي من الخطابة وسيلةً لنقد خصومه، أو للترويج عن نظرتهم السياسية. ومن ثم استمالة الجمهور، لذلك كان لتنوع الأحزاب السياسية دور فعّال في ازدهار الخطابة.

## ٢- الخطابة الدينية:

أدى ظهور الإسلام إلى الاعتناء بفن الخطابة وتطوره، لا سيما أنه أعلى من قدرها؛ إذ جعلها ركناً من أركان خطبة يوم الجمعة، فهي ذات موضوع واحد يسعى إلى توحيد المسلمين، وتذكيرهم بالخير، وتحذيرهم من الشرّ والفتن، وقد تطورت الخطابة الدينية في العصر الأموي، بسبب ظهور الفرق الدينية، إذ كان كل خطيب يدعو لمذهبه بطريقته الخاصة؛ فبرزت نزعة الزهد وكثر الوعظ والارشاد مما أدى إلى تقسيم الخطب الدينية على أكثر من نوع، منها الوعظ الديني، وخطبة يوم الجمعة، وخطب العيدين، وخطب الاستسقاء، فضلاً عن القصص الدينية والمناظرات الدينية، ومن هنا كان لها الحظ الأوفر في مجال الدين والهداية في العصر الأموي.

## ٣- الخطابة الاجتماعية:

عُرف هذا النوع من الخطابة من أنه عادةً ما يلقي في مجالس الخلفاء والأمراء والأماكن العامة والأسواق؛ ليعالج أحد الأغراض المتعلقة بالحياة الاجتماعية العامة، إذ يعبر عن أحوال المجتمع وأنشطتهم.

٤- خطب المحافل والوفود: وهي الخطب التي تلقى في مجالس الولاة والأمراء للترحيب بالوفود والمحافل الدولية في مناسبة ما، و لتنظيم وتعزيز العلاقات الخارجية للدولة العربية الإسلامية مع البلدان المجاورة.

٥- خطب النكاح: هي الخطب التي كانت تلقي في مناسبات الزواج أمام الناس .

٦- خطب التآبين: وهي الخطب التي كانت تُلقى في المقابر أو في مجالس العزاء.

وهذا ما يدل على أن الحياة الاجتماعية في العصر الأموي أدت إلى ظهور أنواع من الخطب متنوعة في موضوعاتها ومقاصدها، وجمهورها.

## الأساليب الخطابية وتطورها في العصر الأموي:

يعد العصر الأموي أقرب العصور إلى العصر الإسلامي لا سيما عصر الخلفاء الراشدين علماً وأدباً وخلقاً، فكان لا بد من أن يظهر جيد المنثور آنذاك لاسيما في فن الخطابة، والتي تأثرت بالموثرات الدينية والسياسية والاجتماعية، وفيما يأتي أبرز الأساليب الخطابية التي ظهرت في النثر :

أولاً : الأساليب الخطابية التي ظهرت عن خطب العصر الأموي:

برز في العصر الأموي خلفاء خطباء، وأمراء خطباء أصحاب بلاغة وفصاحة، فتنوعت خطبهم، وتعددت أهدافها، وكان لكل خطيب طريقته وأسلوبه الخاص في خطبته، ومن أشهر أنواع خطب الخلفاء خطبة معاوية بن أبي سفيان والتي ألقاها حين حضره الموت، وكان أسلوبه فيها أنه بدأها بالنصح موجهاً إياها لعامة الناس وخص بجزء منها ابنه يزيد ، وختمها بدعوة إلى تركه بعد موته والتركيز على أمورهم، و كانت هذه الخطبة مشتملة على السجع والتكرار والوعظ والإرشاد، وقد اتبع أغلب الخلفاء الأسلوب نفسه في خطبهم.

ثانياً: الأساليب الخطابية عند ولادة العصر الأموي:

تأثرت الخطابة في العصر الأموي بالموثرات الخارجية السائدة آنذاك، إذ ارتبطت هذه المؤثرات بالأحداث السابقة لقيام الدولة الأموية؛ فقد اعتنى الخطباء بتحسين خطبهم، وبصناعة الكلام، فكان كل خطيب يعبر عن حزه ورأيه وفرقته، فضلاً عن ذلك اعتنوا بالأسلوب في توظيف السجع والمبالغة في التأنق فيه بما يوافق الموقف الذي يتخذه فيه والمجلس الذي يقيمون داخله، وتعدُّ خطبة زياد بن أبيه هي النموذج الشامل لهذا النوع من الأساليب الخطابية التي سيرد ذكرها لاحقاً.

ثالثاً: الأساليب الخطابية لدى الخوارج والشيعة:

يُعد الخوارج والشيعة مكونين هامين في تطور الأساليب الخطابية السياسية وازدهارها ، إذ كان الخلفاء الأمويون مهتمين بالقضاء على هذين الحزبين، ومن هنا انصبت موضوعات خطب الخوارج والشيعة على التحريض ضد الأمويين ، ومحاولة كسب ود الناس وتأبيدهم، وكان لكل خطيب أسلوبه الأدبي الخاص به، والمتمثل بالقدرة العالية على الإقناع، وبحدة الذكاء، وبالفقه بالقرآن الكريم، بغية التأثير بالجمهور، ومن أشهر خطباء الشيعة المختار الثقفي الذي اشتهرت خطبته التي كان موضوعها الحديث عما دار ما بين الخوارج وبين بني أمية ، وقد تميز أسلوبه بقصر الجمل، وبكثرة المحسنات البديعية، والصور الفنية فضلاً عن التأثير بالقرآن الكريم، والاقْتباس منه، وكان هذا الأسلوب هو الغالب على خطب الخوارج والشيعة.

- خطبة زياد بن أبيه في البصرة:

هي واحدة من الخطب المشورة في الادب العربي قالها زياد بن أبيه حين توليه ولاية البصرة زمن معاوية بن أبي سفيان ،هو زياد بن ابيه وكان كاتباً لأبي موسى الاشعري، نبغ في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد تولى ولاية فارس وكرمان والبصرة، وتولى البصرة والكوفة في زمن معاوية بن أبي سفيان.

- قال زياد بن أبيه في خطبته البتراء:

أَمَّا بَعْدُ؛

فإنَّ الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سُفهاؤُكم، ويشتمل عليه حلماؤُكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعدَّ الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول.

أتكونون كمن طرُفت عينيه الدنيا؟، وسدَّت مسامعه الشهوات، واختارَ الفانيةَ على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركم الضعيف يقهر، ويؤخذ ماله ما هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل؟.

مناسبة الخطبة:

اختار معاوية بن أبي سفيان زيادا والياً على البصرة وكانت معقلاً للخارجين عن الخلافة الأموية؛ وذلك؛ لأن الفتن والثورات ضد بني أمية تتبع منها، فلما وصل زياد إلى البصرة صعد المنبر وألقى هذه الخطبة. أما عن سبب تسميتها بالبتراء؛ لأنها لم تبدأ بحمد الله والثناء عليه وهو الدارج في استهلال الخطب.

-الكتابة وتطورها في العصر الأموي:

لقد عرف العرب الكتابة منذ العصر الجاهلي؛ إلا أنَّ شأنها ارتفع في العصر الأموي و لاقت رواجاً ، وذلك لامتزاج الثقافات العربية بالأجنبية في ظل أتباع الدولة الأموية، إذ كان الخلفاء والولاة والقادة يحتاجونها في مكاتبة بعضهم بعضاً، وأنَّ أهم ما ميَّز كتاباتهم تأثرهم واقتباسهم آياتٍ من القرآن الكريم ، فضلاً عن الاستهلال بذكر الله تعالى، واهتموا بتجويد اللفظ والعبارة، فازدهرت الخطابة لديهم واحتلت مكانة مرموقةً في العصر الأموي؛ نتيجة لتعدد الأحزاب السياسية وكثرة الاضطرابات، فتتوعت أغراضها الدينية، والحربية، والعسكرية، فضلاً عن ازدهار فن الرسائل الذي أبرز قدرة الكاتب في التصوير وزخرفة الأساليب المُتبعة، فكانت الرسائل الديوانية التي صدرت عن ديوان الرسائل؛ وسبب تسميتها بذلك نسبةً إليه، وفي مقابل ذلك اشتهرت الرسائل الإخوانية التي سيرد تفصيل القول فيها لاحقاً.

## عوامل تطور الكتابة في العصر الأموي:

تعددت الأسباب التي أدت إلى نشوء وتطور فن الكتابة في العصر الأموي، وقد كان وراء نشوئها عوامل عديدة ساهمت في تطورها لغةً وأساليباً، ويمكننا إيجازها على النحو الآتي:

- ١- تعدد حاجة الكُتَّاب في العصر الأموي إلى الكتابة بشكل أكبر وأعمق؛ لكثرة المعاهدات بين الدولة الإسلامية، والدول التي تمَّ فتحها.
- ٢- الحاجة إلى كتابة العهود والمواثيق مع مَنْ يتم توليتهم على الولايات العربية الإسلامية.
- ٣- المعاهدات التي تمَّ عقدها وإبرامها من قبل قادة الجيش مع البلدان التي تمَّ فتحها.
- ٤- حاجة الدولة إلى المكاتبه وإلى المراسلات التي كانت تتم بين قائد الجيش وال خليفة.
- ٥- تدوين وكتابة أخبار الشعراء الجاهليين و أشعارهم .
- ٦- نشوء المدارس العلمية والدينية التي اهتمت بتدريس القرآن الكريم والعلوم المختلفة.

## -أنواع الكتابة في العصر الأموي:

كانت الكتابة في العصر الأموي في بادئ الأمر جاريةً على سنن وعادات العصر الإسلامي ؛ من حيث توخي البساطة، والإيجاز، والاهتمام بالتميق والزخرفة اللفظية؛ ولكن كان لتطور الحياة الاجتماعية والعقلية، وتوالي الموالي مقاليد الكتابة الأثر الكبير في تطور فن الترسُّل، وتعدد أدواته إلى أن بلغ فن الكتابة في العصر الأموي ذروته؛ فقاموا بتأليف العديد من الكتب والمخطوطات، فظهرت عدة أنواع من الكتابة، نذكر منها الآتي:

### ١- الكتابة التاريخية:

اهتمت بتدوين العديد من أخبار الفتوحات والغزوات الإسلامية، كغزوات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان أشهر الكُتَّاب في هذا النوع أبان بن عثمان وغيره.

### ٢- الكتابة السياسية:

لقد ظهرت الكثير من الخلافات بين الخلفاء، وذلك بعد أن اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية، الأمر الذي فرض ظهور الكتابة السياسية وتحليل هذه الخلافات وحلها.

### ٣- الكتابة الدينية:

ازدهرت الكتابة الدينية في العصر الأموي من خلال حلقات النقاش التي جرت في المسائل الدينية المستعصية مما استدعى إلى تدوينها والرجوع إليها عند الحاجة في مسائل دينية مشابهة.

- أبرز الكتّاب في العصر الأموي:

- عبد الحميد الكاتب:

هو أحد أبرز الكتّاب الذين لمع اسمهم في العصر الأموي، وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، كانت حياته غامضة بشكل كبير، وذلك لأن الخلافة العباسية لم تعره الاهتمام على كتاباته، باعتباره الكاتب السياسي الأول لدولة بني أمية، وقد لقبه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بعبد الحميد الكاتب، أو الأكبر، كما أنّ النقاد العرب عظموا من منزلته في الأدب العربي، فقالوا: بُدئت الكتابة بعبد الحميد وختّمت بابن العميد.

-الحجاج بن يوسف الثقفي:

هو واحد من ذوي السلطة والسياسة ، عُرف بفن الكتابة في العصر الأموي.

-الحسن البصري:

هو الحسن بن أبي الحسين يسار وهو أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، شُهد له في تلك المرحلة بالعلم والأدب.

-الرسائل في العصر الأموي:

لم يقتصر فن الرسائل على عامة الشعب؛ بل وصل إلى الخلفاء الذين اعتمدوا عليها بوصفها وسيلة خطاب بينهم وبين ولاة المدن وعمّالهم، وكذلك ملوك الدول الأخرى ؛ مما جعلهم يقومون بإنشاء ديوان خاص أسموه ( ديوان الرسائل)، كما حافظت الكتابة على أصولها التي كانت في صدر الإسلام من حيث البساطة والقصر.

و الرسائل في العصر الأموي نوعان، هما: ١-الرسائل الديوانية. ٢- الرسائل الإخوانية ( الشخصية).

١- الرسائل الديوانية:

هي ما صدر عن ديوان الرسائل من مكاتبات رسمية مختلفة ، أمليت على الكاتب، أو أنشأها بنفسه، وحبّرها بأسلوبه على لسان الخليفة ، أو من ينوب عنه، وارتبطت موضوعاتها بالسياسة، وإدارة الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية. ومن أمثلة الرسائل الديوانية في العصر الأموي رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أحد ولاته (( لقد كثُرَ شاكوك، وقلّ شاكروكَ أما اعتزلتَ وأما اعتدلتَ)).

-خصائص الرسائل الديوانية في العصر الأموي:

١- إحكام الصنعة باختيار الألفاظ.

٢- العناية بالأفكار وتسلسلها ، وحسن تنظيمها.

٣- الإيقاع واستخدام المحسنات البديعية.

٢- الرسائل الإخوانية:

هي لونٌ من الرسائل حيث تصدر من أشخاص من ذوي المكانة السامية في المجتمع، عالجت في مضمونها موضوعات دينية، واجتماعية، وقضايا خاصة، مثل التهاني، والتعازي، والعتاب والاعتذار، والنصح والارشاد.

ومن أمثلة الرسائل الإخوانية في العصر الأموي، هي رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب، والتي جاء فيها: (( أما بعد؛ حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم. فإنَّ الله - جلَّ وعزَّ - جعل الناسَ بعد الأنبياء والمرسلين -صلواتُ الله عليهم أجمعينَ - ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً، وإن كانوا في الحقيقةِ سواء. وصرفهم في صنوف الصناعاتِ وضروبِ المحاولات. إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرزاقهم. فجعلكم معشرَ الكُتَّاب في أشرف الجهات، أهلَ الأدب والمروءة والحلم والروية، بكم تنتظمُ للخلافة محاسنها، وتستقيمُ أمورُها)).

-أهمية الرسالة:

تظهر أهمية الرسالة من مكانة كاتبها ، وهو عبد الحميد الذي كان قد خبر الكتابة ومارسها ، وكان على يده تطورها ، ولا شك أنَّ رسالته ونصائحه للكُتَّاب ذات قيمةٍ ساميةٍ.

-خصائص الرسائل الإخوانية:

١- استخدام السجع والموازنة بين الجمل من غير تكلفٍ.

٢- اختيار الألفاظ السهلة الواضحة مع الإيجاز إلا في مواضع تستدعي القوة والإطالة.

## المصادر:

- ١- البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ).
- ٢- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
- ٣- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ).
- ٤- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ).
- ٥- دواوين الشعراء : ديوان الفرزدق، وديوان جرير، وديوان الأخطل، وديوان الكُميت بن زيد الأسيدي، وديوان كثير عزة، وديوان عمران بن حطان، وديوان قيس بن دريح، وديوان قيس بن الملوح، وغيرها.
- ٦- حديث الأربعاء ، د. طه حسين (ت ١٩٧٣م).
- ٧- التطور والتجديد في الأدب الإسلامي، د. شوقي ضيف (ت ٢٠٠٥م).
- ٨- الآمال في الأدب الإسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار.